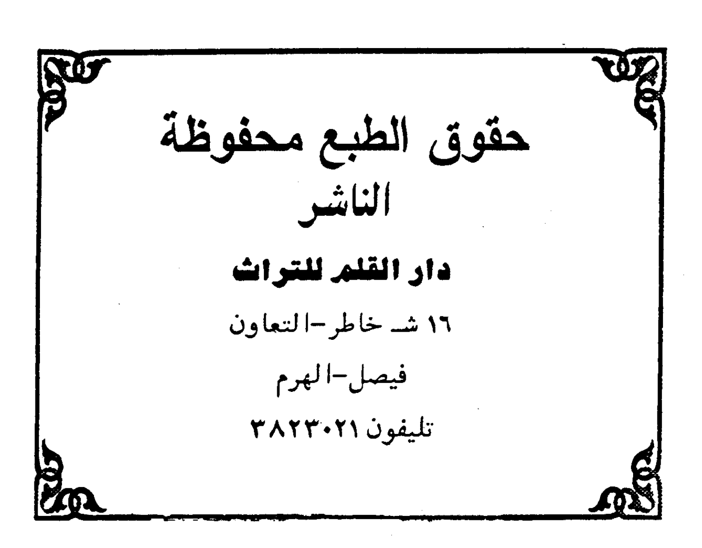
حديقة الأولياء

تاج الدين نوفل

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م





الناشر
دار القلم للتراث
١٦ شـ خاطر - التعاون
فيصل - الهرم
تليفون ٣٨٢٣٠٢١

حديقة الأولياء

الإخراج الفنى
محمود شعبان

مقدمة

الزمان: ساعة من صفاء .

المكان: حديقة الأولياء .

وتحت قبة السماء .

حملت قلمي وأوراقي ، وجمعت حبي وأشواقي ، وبعض عطـرى البـاقي وحلقت بأجنحتي فوق حدائق الدنيا.

أغازل النسيم في الحدائق ، وأجمع الزهور والزنـابق ، قبـل أن تكـدره الخلائق .

استنشق الحياء والصفاء ، وأشرب الوفاء في السـماء ، وأغـزل الـدعاء والرجاء .

وإذا بي أمام حديقة الأولياء .

وأنا على الأعتاب .

أطرق الأبواب .

فإذا بالباب يفتح ، ويخرج منه ريح طيب ليس كريح أهـل الأرض ، لـم يفارق روحي صباح مساء .

وأشرقت أنوار ليست كالأنوار .

وتفتحت أزهار ليست كالأزهار .

وتكشفت أسرار ليست كالأسرار .

ولمست كيف استطاع هؤلاء الأولياء في ساعة من نهار . . . أن يفتحـوا الجنة . . . وأن يطفئوا النار .

فقلت : السلام عليكم .

قالوا : السلام .. فأخذ أحدهم بيدي وقال : ادخل فهاهنا العطاء والسخاء والإحسان والمسك والريحان . . والزعفران . .

وهنا بداية الزمان . . وهنا نهاية الزمان . .

فقلت : وما هذه الأقمار ؟!

قال : ها هم الأبرار الأخيار .

قلت : إن وجوههم لنور . . وإن قلوبهم لنور . . وإنهم لعلى منابر من نور " نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء " . .

قال : هيا معى فإن فى الداخل أعظم وأجمل وأكرم وأبهى . .

قلت : أكرم من هذا وأبهى .

قال : نعم . . . أنت لم تر شيئاً .

فدخلت معه قليلاً . . . لأرى مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فالزمان لا زمان ، والمكان لا مكان ، والعينان تذرفان ، والجنان فى الجنان . . . ولم أتمكن من الكلام .

فقال : مالك لا تتكلم ؟

قلت : الصمت أبلغ ما يقال .

قال : ولا يقال .

قلت : إذا البلاغة عزها وصف القمر .

قال : وما القمر فى حساب هؤلاء ؟!!

وهنا شعرت كأن كل ذرة فى كيانى لها عين ترى ما أرى ، وأن كل ذرة فى كيانى لها أذن تسمع ما أسمع ، وأن كل ذرة فى كيانى لها لسان ينطق ويتذوق مثلما أنطق وأتذوق . .

وذاب كيانى . . ووجدانى . . فلم أجد لسانى . .

وانتابتنى قشعريرة . . . فأحس صاحبى بما يدور فى السريرة ..

فقال : ما عليك . . هذه قلوب لا قوالب . . وأرواح لا أشباح . .

هؤلاء هم النجوم والكواكب . . . فى المشارق والمغارب .

قلت : يا إلهى .. ومن هذا القادم من بعيد يرفل في مشيته كأنه ملك كريم ؟

قال : هذا رأس الأولياء ... فكما أن محمداً ﷺ رأس الأنبياء فكذلك هو رأس الأولياء ..

قلت : ولى الله "....." ؟!

قال : أجل لقد عاش لله ومات لله ..

قلت : وإلى أين هو ذاهب الآن ؟

قال : إنه على موعد الآن مع إخوانه الأولياء .. أمثال .. أحمد بن حنبل والشافعى وأبى حنيفة ومالك .. إلخ .

قلت : لماذا ؟

قال : للموعد المقدس ..

قلت : وما الموعد المقدس ؟

قال : للقاء الله .. إنهم يزورون الله كل صباح وكل مساء .. فتعد لهم الموائد مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون .

قلت : سبحان الله .. لقاء الله .. يزورون الله ..

قال : أجل ..

قلت : وهذه حورية من حوريات الجنان .. أقبلت في ثياب خضر من سندس وإستبرق وقد تحلت بأساور من ذهب واتكأت على أريكة خضراء في جنة فيحاء ..

قال : لا .. ليست هذه حورية ..

قلت : من تكون إذن ؟

قال : إنها سيدة الأولياء .. رابعة العدوية .. رابعة في الأرض .. وأولى في السماء .. أول من أرست قواعد الحب الصوفى .. ومؤسسة المدرسة الصوفية .

قلت : شهيدة الحب الإلهى .. التى تمحضت لله ..

قال : أجل فالدنيا مزرعة الآخرة .. إنها الآن تحصد حصاد الصالحين في دار الخلد والنعيم .. جزاء ما زرعت في الدنيا من خير ومحبة .. إن الملائكة تحفها في الذهاب والإياب .

قلت : وما هذا الذى عليها كأنه عقد من الكواكب والنجوم ؟

قال : هذا مما أفاء الله عليها .. لقد تجرعت مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة .

قلت : عطاء المحب لحبيبه ..

قال : بغير حدود ..

قلت : ومن تلك التى فوق الرءوس تحف بها الملائكة الكرام ؟

قال : طوبى لها . . إنها المرأة الوحيدة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز واصطفاها على نساء العالمين . .

قلت : مريم ابنة عمران . .

قال : أجل . .

قلت : يا إلهى !! ومن الذى أتى بهذا الكلب فى تلك الحديقة ؟!

إنه كلب عظيم مضىء مشرق وديع . . . ومالى أراه يحف بهؤلاء الرجال السبعة فى المجىء والعودة .

قال : ألا تدرى . . . إنه قطمير . . كلب أهل الكهف المبارك . .

قلت : فى الجنة ؟ . .

قال : نعم إنه ضمن عشرة حيوانات يدخلون الجنة . .

١- براق النبى ﷺ .

٢- عجل إبراهيم ﷺ .

٣- كبش إسماعيل ﷺ .

٤- هدهد بلقيس المبارك .

٥- نملة سليمان ﷺ .

٦- حمار عزير .

٧- كلب أهل الكهف المبارك .

٨- حوت يونس ﷺ .

٩- بقرة الغلام البار بأمه .

١٠- ناقة صالح ﷺ .

قلت : ومن هؤلاء الذين يبلغ نورهم عنان السماء .

قال : هؤلاء هم الأولياء الأخفياء . . الذين لم يكشفوا عن أنفسهم فى الدنيا ، لقد كانوا لا يحبون الظهور .

قلت : هؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :

إن الله يحب الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا . .

وحان الموعد . .

وانتهت مدة زيارتى . .
وشد صاحبى على يدى . . وتعانقنا على باب الحديقة . .

وودعنى وداع النرجس والياسمين . . بباقة ورد جميلة . .

وقد تعلقت بثيابى بعض الأزهار والعطور والرياحين والورود . . فآثرت أن أنثرها عليك . . وأقدمها إليك . . لتكون بين يديك فافتح الباب وقلب صفحات الكتاب . .

فى حب ومودة . . . وصفاء ومحبة . .

فقد يفتح لك كنز . . ينثر حولك ورده . .

باقات للخير . .

باقات للتوبة . .

أو يحتضنك حظ . .

قد لا تشقى بعده .

تاج الدين نوفل

بسم الله الرحمن الرحيم

((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (١)

صدق الله العظيم

(١) يونس (٦٢ – ٦٤) .

إهداء

إلى أبـــى العظـــيم بالحـــب والتكـــريم

أهــدى هــذا الكتـــاب لوجهـــه الكـــريم

يجـــرى لـــه الثـــواب فـــى جنـــة النعـــيم

....

....

....

....

تاج الدين نوفل

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



الحـــــب
و
الـمحبـــة

حــروف
و
قطــوف

« وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّه » (١)

(١) البقرة : ١٦٥ .

((المحبة))

الحب ... أسمى وأكرم نعمة أنعم الله بها على عباده ... فيه تـرتبط الكائنـات وتحيا ... وبه تستقر الموجودات وتنعم ... ولولاه ما أثمرت شجرة ... ولا تفتحت زهرة ..

ذلك أن الحب هو: امتزاج قلبين فى اثنين ... والحب هو : واحد زائـد واحـد يساوى واحداً ... أو هو : واحد زائد واحد يساوى ثلاثة ... وأقول فى هذا :

قـد شـبـهت سـكنات روحـينا لـهـم

فأنـا وأنـت ثلاثـة لـم نعـرف

ذلك هو الحب العفيف الشريف الذى ينشأ لله ... دون سواه .

والحبيب لا يبوح بسر محبوبه ... فهو حبٌ وعفاف وكتمان ...

وقد جاء فى الأثر :

" من أحب فعف فكتم .. فمات .. مات شهيداً ".

والحب طاعة .. وليس معصية ... فمن زعم أنه معصية ... فهـو معصـية لا حساب عليها .. والحب أطهر المعاصى ... وهو أجمل المعاصى ...

أسـتغفر الله إلا مـن محبـتكم

فإنهـا حسـناتى يـوم ألقـاه

فـإن زعمـت بـأن الحـب معصـية

فالحب أجمـل مـا يعصـى بـه الله

نعم ... فهو أجمل ... وهو أشف ... وهو حسنات ... وليس سيئات .. بل هو أجمل الطاعات .. لأنه يخرج من قلب إلى قلب .. ومن روح إلى روح ... تذوب معه الأبدان ... وتتلاشى لديه الأجسام ... فهو أرواح ... لا أشـباح ... وقلـوب لا قوالب ...

والحب هو طائر السلام ... وهو سفير السماء إلى الأرض .. بالرحمة والرأفة والحسنى ... وكل ما هو أسمى ...

والحب إذا قويت ثورته ، وسما سلطانه .... صار عشقاً ... وأصبح ذوباناً وتضحية يضحى بها أحدهما للآخر ... ويبذلها المحب لمحبوبه .. دون فكر أو عناء ...

فإذا اشتد أكثر ... سما بهما ... حتى لا يعرف أحدهما نفسه من الآخر فيصبح حديثهما واحداً ... وطريقهما واحداً .... ومرادهما واحداً ... وطعامهما واحداً ... وشرابهما واحداً . وكلاهما واحداً ... فلا يكاد ينطق المحب بكلمة حتى يكملها له الآخر ... قبل أن يتفوه بها ... فينطقا معاً ... وكأنهما أصبحا قلباً واحداً ... ونفساً واحدة .... وحواساً واحدة ... وروحاً واحدة ... وهو ما أسميه : " بوحدة الكيان و الوجدان " .. حتى لو قتل أحدهما ... لا يعرف الآخر من المقتول ...

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

لو مر سيف بيننا ، لم نكن

نعلم هل أجرى دمى أم دمك

وقد كان "مجنون ليلى " إذا قيل له ما اسمك ؟ ... قال : ليلى ... وسألوه ... أو ماتت ليلى ؟ ... فقال : إن ليلى فى قلبى لم تمت ...

وكانت " زليخا " امرأة العزيز ... قد شغفت حباً بيوسف عليه الصلاة والسلام حتى بلغ بها هذا الشوق وهذه الحرقة .. إلى أن ذهب مالها وجمالها ... وكان لها من الجواهر والقلائد حمل سبعين جملاً ... وقد أنفقتها كلها فى محبة يوسف .

وكان إذا قال لها واحد : رأيت يوسف اليوم .. أعطته قلادة تغنيه طول حياته حتى لم يبق لها شىء ... وكانت تسمى كل شىء ... باسم يوسف ... دون إرادة ... وكل من حولها ... أصبح يوسف ... فصورته فى عينيها .. لا تغيب ووجهه كالمرآة تقف أمامه ... فترى نفسها فيه .. فإذا نظرت إلى شىء وجدته يوسف ... لأن صورة يوسف أصبحت مطبوعة فى عينيها وعلى عينيها .... فمن

يوم أن رأته عيناها ... ربطت صورته عليها ... فلم تعد تبصر غيره ... ولم تعد ترى سواه .. حتى طبع فى قلبها حبه .... ووجهه وصورته .... وأخرجت من قلبها .. كل شيء دون يوسف ... فقد نسيت كل شيء سواه ... وأصبح يوسف هو الحياة ...

وكان من فرط عشقها بيوسف ... إذا نظرت إلى السماء ... رأت اسم يوسف مكتوباً على الكواكب والنجوم ... ورأت وجهه فى ملكوت السماء ضياء ونوراً يضيء لها كل الأرجاء ... فتظل تناجيه صباح مساء ... وتبكى أشد البكاء وتدعو أحر الدعاء .. فى خشية ورجاء .. لموعد ولقاء .

«أعلى درجات الحب»

ولما صدمت فى يوسف ... وخاب أملها فيه ... وكانت قد وصلت إلى أعلى درجات الحب الآدمى ... أفاقت من صدمتها على أولي درجات الحب الإلهى .

وعادة فى البشر .. إذا أخفق فى عمل .. لجأ إلى الله ... يلتمس منه العون والنجاة ... فلجأت " زليخا " إلى الله وهى فى أعلى درجات الحب الآدمى .. وليس بينها وبين الحب الإلهى ... إلا درجة واحدة ... فارتعدت فرائصها .... واهتز كيانها ... وذاب وجدانها ... واستيقظ فؤادها على الحبيب الأوفى ... الحبيب الأول إلى حب الله ... فقد سما بها حب يوسف نبى الله ... إلى حب خالق يوسف جل علاه ... ومن حب المادة إلى حب الروح ... ومن حب الدنيا إلى حب الآخرة ومن حب الجمال ... إلى حب الكمال فى الجمال ... لذى الجلال ... وكيف لا؟!... ويوسف هو الذى وضع لها معالم الطريق إلى الله ... والزهد فيما سواه عندما كانت تغازله وتقول له :

يا يوسف إن شعرك لجميل ... فيقول لها : هو أول ما يتناثر من جسدى فى القبر .

فتقول له : يا يوسف إن جسدك لجميل ... فيقول لها : هو مهد الدود والوحشة .

فتقول له : يا يوسف إن عينيك لجميلتان ... فيقول لها : دمعهما يجرى على من خشية الله .

فلقد كان فى السماء وكانت فى الأرض .. وكان فى الجنة وكانت فى النار وكان فى النعيم وكانت فى العذاب .. وكان مع الله وكانت مع الشيطان .

« الإيمان يصنع المعجزات »

فكان لهذا أكبر الأثر فى إيمانها ... وكان ليوسف اليد الطولى بعد هداية الله سبحانه وتعالى ... فى أن يحول " زليخا " من " عاشقة للدنيا " إلى " عاشقة لله " .

وآمنت " زليخا " .. إيماناً تزول الجبال الراسيات ... ولا يزول ... وتزوجت " زليخا " من يوسف عليه الصلاة والسلام ... وانقطعت للعبادة ... وتبتلت لله وخلت عن يوسف ... فسبحان الله ... وكان كلما اقترب منها يوسف ودعاها إلى فراشها نهاراً فتدافعه إلى الليل ... وإذا دعاها ليلاً سوفت به إلى النهار ... فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون .. نعم فما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله ... فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ ...

لقد كانت بالأمس تسعى إلى يوسف ... ويأباها ... واليوم يسعى إليها يوسف فى الحلال .. فتأباه ... لأن قلبها امتلأ بحب الله ...

وكان إذا سألها يوسف عن سر هذا ؟ فتقول له :

إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه .. فلما عرفته فما أبقت محبته ... محبة لسواه وما أريد به بدلاً ... حتى قال لها : ... إن الله جل جلاله ... أمرنى بذلك وأخبرنى أنه سبحانه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين ... فقالت : أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك .. وجعلنى طريقاً إليه ... فطاعة لأمر الله تعالى ... فعندها سكنت إليه[1] ...

إنه الحب الذى يصنع المعجزات ... ويخرق العادات ... ويجعل الشقى سعيداً ويجعل البعيد قريباً ... ويجعل القاسى رحيماً ... ويجعل القبيح جميلاً ... ويجعل

(١) مكاشفة القلوب / باب العشق . للإمام الغزالى .

الواحد اثنين ... ويجعل الاثنين واحداً ... ويجعل الحياة موتاً ويجعل الموت حياة ..

« فى مقعد صدق عند مليك مقتدر »

وجاء فى زهر الرياض – أن ذا النون المصرى رحمه الله ... دخل المسجد الحرام فرأى شاباً عرياناً .. مطروحاً مريضاً ... تحت اسطوانة .. وله أنين من قلب حزين . قال : فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا غريب عاشق .. فعلمت ما يقول .. قلت : وأنا مثلك فبكى وبكيت أنا .. لبكائه قال : أتبكى أنت ؟ فقلت : أنا مثلك ... فبكى بأعلى صوته .. وصاح صيحة عظيمة عالية ... فخرجت روحه من ساعته ... فطرحت عليه ثوبى ... وخرجت من عنده لطلب الكفن .. فاشتريت الكفن ورجعت إليه .. فلم أجده فى مكانه فقلت سبحان الله .. فسمعت هاتفاً يقول : يا ذا النون إن هذا الغريب الذى طلبه الشيطان فى الدنيا فما وجده ، وطلبه مالك فلم يره ، وطلبه رضوان فى الجنة فما وجده .. قلت : فأين هو ؟ قال : فسمعت هاتفاً يقول : فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته .

« إنه الحب »

إنه الحب الذى لو ذاقه محب ... لكشف له الأسرار ... وأضاء له الأنوار ورفع له الأستار ... ليرى .. ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت ... ولا خطر على قلب بشر .

إنه الحب ... الذى يجعل المحب ... غير الناس ... قلبه ليس كالقلوب روحه ليست كالأرواح ... حسه ليس كالأحاسيس ... حواسه ليست كالحواس .

إنه الحب ... الذى يخلق الشعور ... بكل ما يدور ... فى ظلمة ونور وحزن أو سرور .

« النار لا تحرق أحبابنا »

وجاء فى الأثر ... أن رجلاً بخيلاً ... حلف علــى زوجتــه بــالطلاق .. ألا تتصدق بصدقة .. وألا تخرج زكاة .. وكان رجلاً منافقاً ...

وتمر الأيام .. ويأتى بالباب سائل مسكين .. ويطرق الباب .. وقال : يا أهــل الدار ... بحق الله ألا أعطيتمونى شيئاً .. أطعمه .. فأعطته المرأة ثلاثــة أرغفــة فاستقبله المنافق ... وقال له : من أعطاك هذه الأرغفة .. ؟ قال : أعطونى أهــل هذه الدار .. فكانت داره .. فدخل المنافق داره .. وقال لامرأتــه : .. ألســت قــد حلفت عليك أن لا تعطى أحداً شيئاً ؟ ... فقالت : أعطيت لأجــل الله عــز وجــل فذهب المنافق وأوقد التنور " الفرن " حتى حمى .. ثم قال لامرأته : قومى فــألقى نفسك فى التنور ... لأجل الله ... استهزاء بها ... وسخرية مــن الحــق ســبحانه وتعالى . فما كان من المرأة إلا أن قامت وأخذت أبهى حللها وزينتها .. فقال لهــا المنافق : دعى الحلل والزينة ... فقالت المرأة الصالحة : الحبيب يتــزين لحبيبــه وأنا زائرة لحبيبى .. ثم ألقت نفسها فى التنور .. فأطبق المنافق عليها .. وأحكــم عليها إغلاقه حتى تموت ومضى حتى تم لها ثلاثة أيام ... جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور ... فرأى المرأة سالمة ... بقدرة الله تعالى ... وقــد جعــل الله لهــا التنور جنة خضراء ، فتعجب الرجل من هذا الحال .. وقال ... مــا هــذا ... يــا إلهى.. ؟ .. فسمع هاتفاً يقول له : أما علمت أن النار لا تحرق أحبابنا .

« مثقال ذرة من محبة »

وقد مر عيسى عليه الصلاة والسلام بشاب يسقى بستاناً .. فقال الشاب لعيسى : سل ربك أن يرزقنى من محبته ... مثقال ذرة ... فقال عيسى : لا تطيــق مقــدار ذرة ... فقال الفتى نصف ذرة ... فقال عيسى عليه الصــلاة والســلام : يــا رب ارزقه نصف ذرة من محبتك ... فمضى عيسى عليه السلام .. فلما كان بعد مــدة طويلة ... مر على البستان وسأل عن الشاب ... فقالوا له : جن وذهب إلى الجبال فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه إياه ... فرآه بين الجبال ... فوجده

قائماً على صخرة شاخصاً طرفه إلى السماء ... فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه السلام ... فقال : أنا عيسى ... فلم يجبه ... ولم ينظر إليه فأوحى الله تعالى ... إلى عيسى ... أكيف يسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه... مقدار نصف ذرة من محبتى ... فوعزتى وجلالى لو قطعته بالمنشار ... لما علم بذلك .

((مع الله فى السماء))

وكان أحد الصالحين قد مرض ... وقرر الأطباء بتر ساقه ... فقال لهم .. إذا أردتم قطعها ... فاقطعوها وأنا أصلى حتى لا أشعر بها ... فلما جاءوا لبترها قام وصلى ... وبينما هو ساجد .. قام الأطباء وبتروها ... دون أن يتأوه ... لأنه مع الله يصلى صلاة .... وصلته بربه ... فهو على الأرض بجسمه ... ولكنه فى السماء بروحه .. ملأ الله قلبه وجوارحه .. فلم يعد يشعر بما يدور من حوله وإنما تمحض لله .. وهذه هى الصلاة لمن أراد أن يصلى ... ((**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**)) [1]

((آسية زوج فرعون سيدة نساء العالمين))

قال رسول الله (ﷺ) : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع :

مريم ابنة عمران ، وآسية زوج فرعون ، وخديجة زوج محمد (ﷺ) وفاطمة بنت محمد (ﷺ) .

وكانت " آسية " امرأة فرعون .. تكتم إيمانها عن فرعون ... فلما اطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب ... فعذبوها بأنواع العذاب .. وقال لها فرعون : ارتدى ... فلم ترتد ... فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها .. ثم قال : ارتدى فقالت : إنك تغلب نفسى ... وقلبى فى عصمت ربى ... آمنت بربى ... وحبه

---

(١) ق (٣٧) .

ملء قلبى ... تستطيع أن تحرق كل شىء فىَّ إلا إيمانى ... فإيمانى فى قلبى ولا تستطيع أن تحرق قلبى ... والله لو قطعتنى إرباً ... ما زدت إلا حباً ... فمر موسى عليه السلام بين يديها ... وهى التى ربته وسهرت عليه وحفظته من فرعون بقدرة الله ... فقالت له : يا موسى أخبرنى أراض عنى ربى ... أم ساخط ؟.. قال موسى عليه السلام : يا آسية : ملائكة السماوات فى انتظارك !! مشتاقة إليك .. والله يباهى بك .. فاسألينى .. حاجتك .. فإنها مقضية .. فقالت : ربى ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين .

وعن سلمان (رضي الله عنه) قال : كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس .. فإذا انصرفوا عنها ... أظلتها الملائكة بأجنحتها ... وكانت ترى بيتها فى الجنة .. وهى على الأرض .

وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها .. وجعل على صدرها رحى .. واستقبل بها عين الشمس .. فرفعت رأسها إلى السماء فقالت : رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين .

قال الحسن : فنجاها الله ... أكرم نجاة .. ورفعها إلى الجنة ... فهى تأكل وتشرب . فقد قالت له : يا رب .. عندما أحضروها ليحرقوها :

أذكرك بلسانى .. فبماذا أذكرك ... لو حرق لسانى . فنزل ملك الموت وقبض روحها ..

فرأت الفردوس وهى تعذب .. ورأت بيتها الذى أعده الله لها فى الجنة فابتسمت فظن فرعون أنها تبتسم استهزاء به وسخرية منه .. فقال فى غيظ وكمد : لقد أحرقت القلوب والأفئدة .. وما أحرق قلبى سوى امرأة .

ولكنها كانت تبتسم للحق سبحانه .. كانت تبتسم عندما رأت مقعدها فى الجنة فقد كان جسمها فى الفرش .. وروحها فى العرش .

فلقد أراها الله النعيم وهى فى العذاب .. وأراها الجنة وهى فى النار .. وأراها بيتها فى السماء .. وهى فى بيتها على الأرض .

فكلما كان الحبيب قريباً من حبيبه .. كانت رؤيته له أكثر وضـوحاً وشـفافية تنظر إلى ما لا يدرك بالعين المجردة فتراه .. وتخترق الحجب .. وتسبق الحيـاة فيطوى لها الزمان ... والمكان .. وينعكس البصر بالبصيرة ... وتشرق السريرة .

((الأتقياء الأخفياء))

وروى أن رجلاً اشترى غلاماً .. فقال الغلام : يا مولاى .. إن لى معك ثلاثة شروط :

أولها : أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة .

ثانيها : أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل .

ثالثها : أن تجعل لى منزلاً فى بيتك لا يدخله غيرى .

فقال له الرجل : لك هذه الشروط ... وقم فانظر فى البيوت وتخير مـا تشـاء فطاف الغلام .. فوجد فيها بيتاً خراباً .. فقال للرجل : أخذت هذا ... فقال الرجل : يا غلام .. اخترت بيتاً خراباً .. فقال الغلام : يا مولاى .. أما علمت أن الخـراب مع الله بستان وعمار .

وظل الفتى يخدم سيده بالنهار .. ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى وبينما هو كذلك .. إذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار ... فبلغ حجرة الغلام فإذا هى منورة والغلام ساجد .. وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والأرض .. والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول : إلهى أوجبت علىَّ حق مـولاى وخدمتـه بالنهـار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهارى إلا بخدمتك ... فاعذرنى يا إلهى ... وظـل يناجى ربه هكذا ... ومولاه من خلفه ينظر إليه وهو يبكى .. حتى مطلـع الفجـر فرد القنديل وانضم سقف البيت ... فرجع الرجل وأخبر امرأته بذلك .

فلما كانت الليلة الثانية ... أخذ بيد امرأته ... وجاء إلى باب الحجرة .. فإذا الغلام فى السجود والقنديل على رأسه .. فوقفا على الباب ينظران إليه ويبكيان حتى أصبحا ، فدعا الغلام فقال له : أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر إليه .. فرفع الغلام يديه إلى السماء وقال :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا

ولا أريد حياة بعدما اشتهرا

ثم قال : إلهى أسألك الموت ... فخر الغلام ميتاً ... حباً وخوفاً لله جل شأنه . لقد طلب الموت خشية أن يشتهر أمره بين الناس بشيء قد لا يستطيع المداومة عليه فقد خاف على الجوهر من المظهر .. وخشى على المضمون من الشكل ... وخشى على السر من العلانية ... وخشى على نفسه من نفسه .. وخشى على آخرته من دنياه ... فطوبى له .. لقد هرب من الشهرة .. بالموت ... فويل للذين يموتون من أجل الشهرة .. والحديث عن النبى (ﷺ) يقول :

" إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا قلوبهم مصابيح الدجى .. تراهم فى كل غبراء مظلمة " .

((" رابعة العدوية " رائدة الحب الصوفى))

وإذا كان الحب حديثنا .. فلا بد لنا أن نذكر رائدته الأولى ... ومؤسسته الكبرى .. رابعة العدوية .. التى أرست مبادئه ووضعت أصوله ... للسالكين إلى رياض المحبة .. وغياض الأحبة .

فقد أحبت ربها حباً لذاته ... وصفاته ... فرأته فى كل شيء ... وما رأت سواه بديلاً .. فملأ روحها وفؤادها .. ولم يعد بها من ذرة لغير الله ... فلم تتزوج ولم تطلب شيئاً من متاع الحياة .. وعندما سئلت عن ذلك .. لماذا لا تتزوجين يا رابعة ؟ قالت ... لم يعد فى قلبى مكان لغيره ... فكانت تعبد ربها حباً وعشقاً

تعجز عن وصفه الأقلام .. وتقصر عن إدراكه الأفهام ... فكانـــت مـــثلاً تناجيـــه مناجاتها الشهيرة :

إلهى إن كنت أعبدك طمعاً فى جنتك فاحرمنى منها .

وإن كنت أعبدك خوفاً من نارك فاحرقنى بها .

أما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك ، فامنحنى الجزاء العظيم ، بـــالنظر إلـــى وجهك الكريم .

فتقول :

كلهـــم يعبـــدون مـــن خـــوف نـــار
ويـــرون النجـــاة فـــوزاً جـــزيلا

ليس لى فـــى النـــار والجنـــان حـــظ
أنـــا لســـت أرضـــى بربـــى بـــديلا

تريد أن تقول : إن حبها لله أصبح محضاً خالصاً .. من هذا وذاك .. وإنما كل ما تبتغيه .. هو رضاه سبحانه جل علاه ... فهى لا ترضى أن يكون حبهـــا لـــه طمعاً في شىء أو هرباً من شىء .. وإنما هو حب لذاته وعشق لصفاته .

ورابعة بهذا تجتاز الحدود .. وتخترق السدود .. إلى الواحد المعبـــود .. إلـــى معنى العبادة الخالصة والحب الذى يتنزه عن الخوف والرجاء .. إلى المعنى الكامل في قوله تعالى :

((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)) [1]

أى : لا يشرك وهو يعبد ربه .. جنة ولا ناراً .. ولا عذاباً ولا نعيماً .. إلـــخ فتأتى عبادته لله خالصة .. من كل ما عداها .. فلا تكون العبـــادة .. بهـــدف .. أو لهدف .. وإنما العبادة .. حباً وطاعة .. لجلاله وجماله وكماله .

فكانت إذا سئلت عن المحبة قالت :

---

(١) الكهف (١١٠) .

((ليس للمحب وحبيبه بين ، وإنما هو نطق عن شوق ، ووصــف عــن ذوق فمن ذاق عرف ، ومن وصف فما اتصف. وكيف تصف شيئاً أنت فــي حضــرته غائب ، وبوجوده ذائب ، وبشهوده ذاهب ، وبصحوك منه سكران ، وبفراغك لــه ملآن ، وبسرورك له ولهان .. فما ثم إلا دهشة دائمة ، وحيرة لازمــة ، وقلــوب هائمة ، وأسرار كاتمة ، وأجساد من السقم غير سالمة ، والمحبة بدولتها الصارمة في القلوب حاكمة)) .

فقيل لها : ((يا رابعة ! أنت في ميدان المحبة راتعة ، فكيــف كانــت ســورة الواقعة ، حتى سميت رابعة)) ؟

فقالت :

كــأس وخمــرى والنــديم : ثلاثــة
وأنا المشوقة في المحبــة : رابعــه
كــأس المســرة والنعــيم يــديرها
ساقى المــدام علــى المــدى متتابعــه
فــإذا نظــرت فــلا أرى إلا لــه
وإذا حضــرت فــلا أرى إلا معــه
يــا عــاذلى : إنــى أحــب جمالــه
تــالله مــا أذنــى لعــذلك ســامعه
كم بت مــن حرقــى وفــرط تعلقــى
أجرى عيونــاً فــي عيــونى الدامعــه
لا عبرتــى ترقــا ، ولا وصــلى لــه
يبقــى ولا عينــى القريحــة هاجعــه

((أحبك حبين))

ثم توضح ذلك في تعبير وجيز .. وأسلوب أنيق .. وتصوير دقيــق .. فتقــول واصفة حبها .. للحبيب الباقى :

أحبـــك حبـــين : حـــب الـــوداد
وحبـــاً لأنـــك أهـــل لـــذاك
فأمـــا الـــذى هـــو حـــب الـــوداد
فحـــب شـــغلت بـــه عـــن ســـواك
وأمـــا الـــذى أنـــت أهـــل لـــه
فكشـــفك للحجـــب حتـــى أراك
فمـــا الحمـــد فـــي ذا ، ولا ذاك لـــى
ولكـــن لـــك الحمـــد فـــي ذا وذاك

« زادى قليل »

وكانت رابعة .. تعرف حجم الدنيا .. فلا تنظر إليها .. إلا بقدرها .. فكانت تنام على حصيرة بالية .. بوسادة قديمة .. وكان لها إناء مكسور تشرب فيه وإبريق تتوضأ منه .

وكانت (رضى الله عنها) تقضى ليلها مرتعدة .. كعصفور بلله ماء الندى تصلى لله وتناجيه على وجل وخشية :

زادى قليـــل مـــا أراه مبلغـــى
ألـــزاد أبكـــى أم لطـــول مســـافتى
أتحرقنى بالنـــار يـــا غايـــة المنـــى
فـــأين رجـــائى فيـــك أيـــن مخـــافتى

« خلوة »

ولقد كانت دائماً مع الله .. وكان دائماً معها .. وكانت سعادتها أن تخلو وحدها بحبيبها .. فإذا خلت .. ناجته .. مناجاة العاشقين المخلصين ..

راحتــي يــا إخــوتى فــي خلــوتى
وحبيبـــى دائمـــاً فـــي حضـــرتى

يـــا ســـرورى وحيـــاتى دائمـــا
نشـــأتى منـــك وأيضـــاً نشـــوتى

يـا طبيـب القلـب يـا كـل المنـى
جـد بوصـل منـك يشـفى مهجتـى

«جلوة»

ثم ترتقى إليه أكثر .. فتقول :

إنــى جعلتــك فــي الفــؤاد محــدثى
وأبحــت جســمى مــن أراد جلوســى

فالجســم منــى للجلــيس مــؤانس
وحبيــب قلبــى فــي الفــؤاد أنيســى

«كرامات رابعة»

«تأمين وتمكين»

ومن الكرامات التى رويت .. وجاءتنا عن رابعة الحب الإلهـي .. مـا أورده المناوى :

دخل لص حجرتها وهى نائمة ، وجمع ما لديها من ثياب ، ثـم طلـب البـاب للخروج ، لم يجده ، فوضع الثياب على الأرض .. ثم بحث عـن البـاب فوجـده فحملها .. فلم يجده ، فأعاد ذلك .. وظل الحال كما هو عليه .. لا يستطيع الخروج ثم سمع هاتفا يقول : دع الثياب ، فإنا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة .

« لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ » [1]

---

(١) الرعد (١١) .

ويروى أن الحسن البصرى وبعض أصحابه ذهبوا إلى " رابعة " وكان الوقـت ليلاً فاحتاجوا إلى مصباح فلم يجدوا .. فوضعت رابعة طرف أصابعها فى فمها ثم أخرجتها فظل يشع منها حتى مطلع الفجر .. نور كأنه نور الصباح .

« يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ » [٢]

نعم .. هو نور أعمالهم في الدنيا .. الذى يضىء لهم يوم القيامة .. ويعرفـون به .. كما تضىء النجوم والكواكب في السماء لأهل الأرض .

وما هذا الذى خرج من رابعة إلا بصيص الولاية .. من النـور الأكبـر يـوم القيامة . ومقدمة الخير .. وفاتحة السعادة في الدارين .. وبشرى السماء لـلأرض بالنور .

---

(٢) الحديد (١٢) .

صفات الأولياء
فى الأرض وفى السماء

« إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ » [1]

(١) سورة الأعراف (١٩٦) .



((أولياء الله تعالى))

قال تعالى ((**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**))[1]

تلا الرسول الكريم (ﷺ) هذه الآيات بعد أن قال :

إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله ، قالوا : أخبرنا من هم ؟ وما أعمالهم ؟ فلعلنا نحبهم ، قال : هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس .. ثم قرأ ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)) .[2]

فالإيمان والتقوى .. إذا اجتمعا في قلب مؤمن .. صار ولياً .. فهما جناحا الولاية .. وسراجا العناية .. فما الإيمان .. ؟ وما التقوى ..؟ إذن .

الإيمان : هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .. إلخ .

والتقوى : هى أن تتقى ما حرمه الله .. أو هى كما قال على (رضي الله عنه) :

خوف الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . أو كما قال أحد الصالحين .

التقوى هى : أن يراك الله حيث أمرك .. وأن يفتقدك حيث نهاك .

فهذا هو الإيمان وهذه هى التقوى !!

فاحرص عليهما .. واعمل لهما .. وبهما .. فإنهما السبيل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى .. وهما النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

(لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) نعم .. لهم البشرى في الحياة الدنيا .. بالرؤية الصالحة .. التى يراها

---

(١) يونس (٦٢ – ٦٤) .

(٢) الطبراني (١١ / ١٣٠) .

العبد الصالح .. أو التى يراها أحد الصالحين له .. وبشارة الملائكة له عند الموت فلا يخرج من الدنيا حتى يرى مقعده في رحاب الله .. من فوز ونعيم .

فلا خوف عليهم في الدنيا ، ولا هم يحزنون يوم القيامة .. بل لهم البشرى في هذه وتلك .. ولهم الفلاح والخلد والنعيم المقيم .

كما أن عملهم الصالح هذا .. وأعمالهم للخير تلك ستبقى لذرياتهم بعد موتهم صلاحاً وفلاحاً .. وسداداً وتوفيقاً .. فإن تقوى الآباء .. تنفع الأبناء .. وليس أدل على هذا من الآية الكريمة التى روت قصة الغلامين اليتيمين في سورة الكهف ((**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا**))[1] أى أن هذا الجدار الذى كان يوشك على السقوط .. كان تحته كنز من ذهب وفضة لغلامين يتيمين ((**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**))[2] أى وكان والدهما صالحاً .. فحفظ الله لهما كنزهما لصلاح أبيهما .. ولا غرو في هذا فإن صلاح الآباء ينفع الأبناء .. وتقوى الأصول تنفع الفروع .. ((**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**))[3] أى : أراد الله رحمة منه .. أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ((**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**))[4] أى بفضله وبرحمته .. لصلاح أبيهما .. وعلو قدره عند الله .. وقد قال العلماء الأوائل .. إنه الأب السابع لهما .. وليس الأب المباشر.

فإذا كانت تقوى الجد السابع تنفع الذرية السابعة .. فما بالنا بالأب المباشر إذا كان صالحاً .. لا جدال أن الشجرة الطيبة .. ثمارها طيب .. وأكلها دائم وخيرها قائم بإذن الله .

((**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**))[5]

---

(١) الكهف (٨٢) .
(٢) الكهف (٨٢) .
(٣) الكهف (٨٢) .
(٤) الكهف (٨٢) .
(٥) إبراهيم (٢٤ – ٢٥) .

((معنى لفظ الولى))

الولى : بسكون اللام : القرب والدنو .

والولى : القريب .. المتقرب .. دائماً .. كثير التقرب والتودد .. وولى الله أى: حبيب الله بكثرة تقربه منه .. وبكثرة طاعاته له .

وقد يأتى لفظ الولى مفعولاً .

وقد يأتى فاعلاً .

فقد جاء بمعنيين في اللغة العربية المسلمة :

بمعنى مفعول : وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره .

بمعنى فاعل : وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته .

وهذان المعنيان الكاملان .. يكمل أحدهما الآخر لفظاً ومعنى .. وشكلاً ومضموناً .

فلكى يكون الولى ولياً .. يجب قيامه لله تبارك وتعالى على الاستقصاء فيدوم حفظ الله إياه في السراء والضراء .. وفى الشدة والرخاء .

وللولى أربع علامات :

- أن يكون صدره مشروحاً .. لأنه مملوء بحب الله .
- وأن يكون جسمه مطروحاً .. في حبه ورضاه .
- وأن يكون قلبه مجروحاً .. لأنه ليس به سواه .
- وأن يكون باب الملكوت له مفتوحاً .. حيثما دعاه .

هؤلاء هم الأتقياء .. الأولياء .. الذين قال رسول الله (ﷺ) فيهم : **إن الله يحب الأتقياء الأخفياء .. الذين إذا حضروا .. لم يعرفوا .. وإذا غابوا لم يفقدوا قلوبهم مصابيح الدجى .. تراهم في كل غبراء مظلمة .**

هؤلاء الذين شاهدوا فشهدوا .. ولم يشهدوا إلا بما شاهدوا .. فهم شهود الأمة وضياء الظلمة .. وجلاء الغمة .. ومناط الهمة .. حياتهم حركة .. وحلولهم بركة .

« سؤال وجواب »

على باب مدينة العلم .. وقف سائل يسأل .. الإمام علــى (كــرم الله وجهــه) قائلاً .. يا إمام المسلمين أين ربنا ؟

فقال عليّ : الذى أوجد الأين لا يسأل عنه بأين !!

فقال الرجل : كيف ربنا ؟

فقال (كرم الله وجهه) : الذى كيف الكيف لا يقال عنه كيف !!

فسأله : متى كان ربنا ؟

قال : ويحك ومتى لم يكن ؟! إن ربنا عز وجل لم يكن فكان .. وإنما يقال متى كان لشىء لم يكن فكان .. هو كائن بلا كينونة .. كائن لم يزل .. ليس لــه قبــل فهو قبل القبل .. وقبل الغاية .. انقطعت الغايات عنده .. فهو غاية كل غاية .

وعندئذ سئل عن صفات المتقين .. الأولياء الصالحين .. فقال :

« إن الله سبحانه وتعالى . خلق الخلق حين خلقهم .. غنياً عن طاعتهم .. آمناً من معصيتهم .. لأنه لا تضره معصية من عصاه .. ولا تنفعه طاعة من أطاعــه فقسم بينهم معيشتهم .. ووضعهم من الدنيا مواضعهم .. فالمتقون فيها هــم أهــل الفضائل .. منطقهم الصواب .. وملبسهم الاقتصاد .. ومشيهم التواضع .. غضــوا أبصارهم عما حرم الله عليهم .. ووقفوا أسماعهم على العلــم النــافع لهــم .. لا يرضون من أعمالهم القليل .. ولا يستكثرون الكثير .. فهــم لأنفســهم متهمــون ومن أعمالهم مشفقون .. فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين .. وحزمــاً في لين .. وإيماناً في يقين .. وحرصاً في علم .. وعلماً في حلم .. وقصــداً فــي غنى .. وخشوعاً في عبادة .. وتجملاً في فاقة .. وصبراً في شدة .. وطلبــاً فــي حلال .. ونشاطاً في هدى .. وتحرجاً عن طمع .. يعمل الأعمال الصالحة وهــو

---

(١) الأنعام (١٢٧) .

على وجل .. يمسى وهمه الشكر .. ويصبح وهمه الذكر .. يمزج الحلـم بـالعلم والقول بالعمل .. تراه قريباً أمله .. قليلاً زللــه .. خاشعاً قلبــه .. قانعــة نفســه مكظوماً غيظه .. ميتة شهواته .. الخير منه مأمول .. والشر منه مأمون .. يعفــو عمن ظلمه .. ويعطى من حرمه .. ويصل من قطعه .. بعيداً فحشه .. ليناً قولــه غائباً منكره .. حاضراً معروفه)) .

مقبلاً خيره .. مدبراً شره .. في الزلازل وقور .. وفي المكاره صبور .. في الرخاء شكور .. لا يحيف على من يبغضه .. ولا يأثم فيمن يحب .. يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه .. لا يدخل في الباطل .. ولا يخرج من الحق .. نفسه منه فــي عناء .. والناس منه في راحة .. أتعب نفسه لآخرته .. وأراح الناس مــن نفســه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة .. ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة .. ليس تباعده بكبر وعظمة .. ولا دنوه بمكر وخديعة .

((الناس سبع طبقات))

قال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)) [1]

هذا .. وقد قسم (ﷺ) الناس إلى طبقات سبع ، كل طبقة حسب حالها .. وعملها .. وما هى فيه .. من خير وشر .

فقال (ﷺ) :

الناس سبع طبقات :

الطبقة الأولى : الفراعنة :

يدعون الناس إلى عباداتهم .. أما أنهم لا يأمرونهم أن يصــلوا لهــم ولا يصوموا ولكنما يأمرونهم بطاعتهم فيطيعونهم .

فبطاعتهم لهم في معصية الله .. جل ثناؤه قد اتخذوهم أرباباً من دون الله.

(١) الحجرات (١٣) .

الطبقة الثانية : الجبابرة :

أكلهم الربا .. وبيعهم السحت .

الطبقة الثالثة : الفساق :

قد تشردوا من الدين .. كما يتشرد الشارد من الإبل .

الطبقة الرابعة : أصحاب الرياء :

ليس يعبدون إلا الدينار والدرهم .

الطبقة الخامسة : المخادعون :

يطلبون الدنيا بزى الصالحين .

الطبقة السادسة : الفقراء :

إنما هم أحدهم أن يشبع شبعة من الطعام لا يبالى أحلالاً أخذها أم حراماً .

الطبقة السابعة :

الذين أثنى الله عليهم في كتابه الحكيم .

((**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**)) (١)

والذى فلق الحبة .. وبرأ النسمة .. إنهم ((**الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**))(٢) ثم التفت إلى محدثه وقال : فعليك أن تطلبهم .

قال : وأين أطلبهم يا أمير المؤمنين ؟

قال (رضي الله عنه) :((في أطراف الأرض تجدهم .. قد اتخذوا الأرض فراشاً .. والماء طيباً .. والقرآن شعاراً .. والدعاء دثاراً .. باكية عيونهم .. يقرضون العيش قرضاً .. إن غابوا لم يفتقدوا .. وإن شهدوا لم يعرفوا .. وإن خطبوا لم يزوجوا وإن قالوا لم ينصت لقولهم .. يدفع الله عز وجل بهم : العاهات والآفات والبلايا عن الناس .. وبهم يسقى الله عز وجل .. العباد .. الغيث من السماء .. وينزل القطر من السحاب .. أولئك عباد الله حقاً)) .

---

(١) الفرقان (٦٣) .

(٢) المؤمنون (١١) .

«إنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ »[1] وكما يقولون .. ما خلق الله الإنسان في الكون .. إلا لكى يكون ولياً .

قال تعالى : «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»[2]

ويقول تبارك وتعالى في الحديث القدسى مناجياً وليه وعبده الإنسان في كل زمان ومكان : يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب .. وضمنت لك الرزق فلا تتعب إن قل فلا تحزن وإن زاد فلا تفرح .

ثم يناجيه مذكراً إياه بالولاية .

يا ابن آدم خلقتك لى .. وخلقت كل شيء لك .. فلا يشغلنك ما خلقته لك .. عما خلقتك له .

ثم يناجيك سيد الأولين والآخرين .. محمد بن عبد الله (ﷺ) مذكراً إياك بأركان الولاية : .. وذلك عن ابن عباس (رضى الله تعالى عنهما) قال : كنت خلف النبى (ﷺ) يوماً فقال يا غلام إنى أعلمك كلمات :

- **احفظ الله يحفظك .**
- **احفظ الله تجده تجاهك .**
- **إذا سألت فاسأل الله .**
- **إذا استعنت فاستعن بالله .**
- **واعلم أن الأمة لو اجتمعت .. على أن ينفعوك بشىء .. لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك .. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء .. لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف.**

وفى نداء آخر من رسول الرحمة إلى أولياء الله المؤمنين الصالحين .

---

(١) الأنفال (٣٤) .

(٢) الداريات (٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨) .

- **احفظ الله تجده أمامك .**
- **تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .**
- **واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك .. وما أصابك لم يكن ليخطئك .**
- **واعلم أن النصر مع الصبر .**
- **وأن الفرج مع الكرب .**
- **وأن مع العسر يسراً. ولن يغلب العسر يسرين .**

ثم يوجه الرسول الكريم دعوته إلى المؤمنين بالزهد والورع قائلاً :

ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس (١) .

ويقول الشافعى رضوان الله عليه :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب في الدنيا وقد علمت
أن السعادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهداً
واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

ثم بعد ذلك .. يحذرك الله عز وجل من معاداة هؤلاء العباد المخلصين .. فيقول الله تعالى على لسان رسوله الكريم :

من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب . والمراد هنا بالولى : المؤمن ، قال الله تعالى **(الله ولى الذين آمنوا)** فمن آذى مؤمناً ، فقد آذنه الله أى أعلمه الله ، أنه محارب له ، والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه ، فليحذر الإنسان من التعرض لأى

---

(١) رواه ابن ماجه .

مسلم ، وقوله تعالى (**وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه** : فيه دليل على أن فعل الفريضة .. أفضل من النوافل ، وجاء في الحديث : أن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة . وقوله تعالى : **ولا يــزال العبــد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه** ، ضرب العلماء (رضى الله تعالى عنهم) لذلك مثلاً فقالوا ؛ مثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره .. كمثل رجل أعطى لأحد عبديه درهماً ليشترى به فاكهة وأعطى آخر درهماً ليشترى به فاكهة .. فذهب أحد العبدين فاشترى فاكهة فوضعها فى قوصرة .. وطرح عليها ريحاناً من عنده .. ثم جاء ووضعها بين يدى السيد .. وذهب الآخر واشترى الفاكهة فى حجره .. ثم جاء فوضعها بين يدى السيد على الأرض ، فكل واحد من العبدين قد امتثــل .. لكــن أحدهما زاد من عنده القوصرة والريحان فيصير أحب إلى السيد .

فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله .. والمحبة مــن الله إرادة الخير . فإذا أحب عبده شغله بذكره ، وطاعته ، وحفظه من الشيطان ، واســتعمل أعضاءه في الطاعة ، وحبب إليه سماع القرآن ، والذكر ، وكره إليه سماع الغنــاء وآلات اللهو ، وصار من الذين قال الله تعالى فيهم (**وإذا سمعوا اللغو أعرضــوا عنـه**) وقال تعالى (**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**) فإذا سمعوا منهم كلامــاً فاحشاً .. أضربوا عنه .. قالوا قولاً يسلمون فيه . وحفظ بصره عن المحارم .. فلا ينظر إلى ما لا يحل له ، وصار نظره نظر فكر واعتبار ، فلا يــرى شــيئاً مــن المصنوعات .. إلا استدل به على خالقه .. وقال على (ﷺ) : ما رأيــت شــيئاً إلا ورأيت الله تعالى قبله ، ومعنى **الاعتبار** : العبور بالفكر في المخلوقات إلى قــدرة الخالق .. فيسبح عند ذلك ويقدس ويعظم ، وتصير حركاته باليدين والرجلين ، كلها لله تعالى ، ولا يمشى فيما لا يعنيه ، ولا يفعل بيده شيئاً عبثاً ، بل تكون حركاتــه وسكناته لله تعالى ، فيثاب على ذلك في حركاته ، وسكناته ، وفي ســائر أفعالــه وقوله-تعالى : **كنت سمعه** ، يحتمل : كنت الحافظ لسمعه ولبصره ولــبطش يــده ورجله .. من الشيطان ، ويحتمل : كنت في قلبه عند سمعه .. وبصره .. وبطشه فإذا ذكرنى كف عن العمل لغيرى [1].

---

(١) شرح الإمام النووى .

فقد روى أبو هريرة (ﷺ) .. قــال : قــال رســول الله (ﷺ) إن الله تعــالى قال ، في حديثه القدسى :

من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلــى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فــإذا أحببتــه كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجلــه التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه [1] .

ومن هنا نعلم أن الله قد أعلن الحرب على من يحارب أوليــاءه .. وتوعــدهم بالهلاك والدمار .

فإن العبد الذى يتقرب إلى الله ، حسبه أن يؤدى ما افترضه الله عليه .

فإن أداه كما تجب تأديته .. كفاه عمله هذا لإرضاء مولاه .. وحبه إياه .

فإن زاد بالنوافل .. والعمل الصالح .. زدته بالحب والرضا .. وكنت له حيث كان فإذا أحب الله عبداً .. كان **سمعه الذى يسمع به** .. فلا يجعله الله يسمع إلا ما يحب .. ولا يحب أن يسمع إلا ما يحبه له الله ، فيكون بذلك ســمعه لله ، **وكنــت بصره الذى يبصر به** .. أى لا ينظر إلى ما حرم الله .. لأن الله حببه في الحــلال فلا تقع عينه إلا على كل جميل .. يلهم ذكر الله .. فيباعد الله بصره دون أن يدرى عن مواطن الشبهة والحرام .. وأن يكون نظره عبرة وتأمل في ملكــوت الله ((**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ**)) [2] ، ويده التــى يبطش بها ؛ أى تحل البركة في يده .. فلا يضعها فى شىء إلا بورك فيه ، فتكون أعمالها لله .. وبالله .. وفى الله .. حيث ارتفعت أو هبطت ... **ورجله التى يمشى بها** ؛ يرزقها الله التوفيق الذى هو ثمرة الإخلاص .. فــلا تخطــو خطــوة إلا لله فيباعد الله بها عن مواطن الإثم والفحش .. ويدفعها إلى مواطن الفــوز والفــلاح فكم يخرج المرء من بيته يقصد مكاناً .. فيفاجأ بنفسه فى مكان آخــر .. إرادة الله

---

(١) رواه البخارى .

(٢) يونس (١٠١) .

وحكمه .. وعلمه القديم .. فقد أراد الله بـك خيـراً وتوفيقـاً . والرسـول (ﷺ) يقول : خير ما يصعد إلى السماء الإخلاص وخير ما ينزل منها التوفيق .

ولقد دعى رسول الله (ﷺ) إلى حضور عقد قران أحد النـاس ، ولمـا حـان الموعد ... أخذ الله بنفس رسوله (ﷺ) فنام ، حتى انتهى موعد هذا القران ، فقـد أراد الله ... أن يحفظ رسوله (ﷺ) من حضور هذا .. لعلمه بما فيـه مـن لهـو وعبث .. وحفاظاً على هيبة النبوة .. وجلال الرسالة .. فيما بعد .

ومن هنا نعلم أن المرء إذا فاته شيء .. لا يندم عليه .. لأنه لا يدرى ما وراء هذا ((**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**)) [1] ولو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع .. وتـأتى الريـاح بمـا لا تشتهى السفن .

((**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**)) [2]

قال عبد الله بن مالك الخزاعى : كنت شرطياً عند هارون الرشـيد ، فأتـانى رسوله ليلاً فى وقت لم يأتنى فيه قط ، فانتزعنى من فراشى ، ومنعنى من تغييـر ثيابى ، فأفزعنى ذلك ، فلما صرت إلى الدار ، أذن لى فـى الـدخول .. فـدخلت فوجدت هارون الرشيد قاعداً على فراشه .. فسلمت عليه .. فسكت سـاعة فطـار عقلى .. وتضاعف الجزع على .. ثم قال : يا عبد الله أتدرى لم طلبتك فـى هـذا الوقت ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين قال : رأيت الساعة فى منامى : كـأن عبـداً حبشياً قد أتانى ومعه حربة فقال : خل سبيل موسى بن جعفر الآن .. وإلا قتلتـك بهذه الحربة ... فاذهب فخل سبيله .. فقلت : يا أمير المؤمنين أطلق موسـى بـن جعفر ؟ وعاودته ثلاث مرات .. قال : امض الساعة حتى تطلقه ، وأعطه ثلاثـين ألف درهم وقل له : إن أحببت المقام قبلنا ولك عندنا ما تحب ، وإن أحببت السـير إلى المدينة ، فالإذن فى ذلك لك .. قال مالك : فجئت إلى الحـبس .. وأخرجتـه وأعطيته ما أمر به أمير المؤمنين .. وقلت له : قد رأيت فى أمرك هـذا عجبـاً !

---

(١) البقرة (٢١٦) .
(٢) البقرة (٢٥٧) .

قال : فإنى أخبرك أنى كنت بين النائم واليقظان ، فأتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا موسى حبست مظلوماً .. فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة فى الحبس فقلت بأبى وأمى ما أقول .. فقال قل :-

" **يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسى العظام لحماً ومنشزها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى ، وباسمك الأعظم ، الأكبر ، المخزون ، المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة .. ارحم من لا يقوى على أناة .. يا ذا المعروف الذى لاينقطع أبداً ، ولا يحصى عدداً ، فرج عنى** " فكان كما رأيت .

نعم : لا خوف عليهم فى الدنيا ، ولا هم يحزنون يوم القيامة .



مريم ابنة عمران

سيدة نساء العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » [١]

صدق الله العظيم

قال رسول الله (ﷺ) :

كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع :

« مريم ابنة عمران ، آسية زوج فرعون ، خديجة زوج محمد ، فاطمة بنت محمد (ﷺ) »

صدق رسول الله (ﷺ)

---

(١) آل عمران (٤٢) .

((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ۞

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً ۞

فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً ۞ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً ۞

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۞

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ۞ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ۞ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞

مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞
وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) [1]

---

(١) مريم (١٦ – ٣٧) .

هى مريم بنت عمران [1] ، من سلالة داوود عليه السلام ، وكانت من بيت طاهر طيب فى بنى إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها فى سورة آل عمران ، وأنها نذرتها محررة ، أى تخدم بيت المقدس ، وكانوا يتقربون بذلك «**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً**» [2]ونشأت فى بنى إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل ، وكانت فى كفالة زوج أختها زكريا نبى بنى إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذى يرجعون إليه فى أمورهم .

ولقد رأى لها زكريا عليه السلام من الكرامات الهائلة ما بهره «**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**» [3] فقد كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف. وفاكهة الصيف فى الشتاء .

فلما أراد الله سبحانه وتعالى وله الحكمة ، والحجة البالغة .. أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام أحد الرسل أولى العزم من الخمسة العظام (**انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً**) واعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقى المسجد المقدس لحيض أصابها ، ويقول ابن عباس : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قول الحق سبحانه وتعالى (**انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً**) فلما خرجت مريم مكاناً شرقياً صلوا قبل مطلع الشمس ، واتخذوا ميلاد عيسى قبلة .

(**فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً**) اتخذت مريم البتول هذا المكان للتعبد والتبتل بعيداً عن الناس .. وقد استترت عنهم وتوارت .. فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام (**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً**) أى : على صورة إنسان تام كامل ، فقد جاءها فى صورة شاب أبيض الوجه جعد الشعر مستوى الخلقة ، وقد تمثل لها فى هذه الصورة

---

(١) ابن كثير .

(٢) آل عمران (٣٧) .

(٣) آل عمران (٣٧) .

الحسنة .. لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ، ولو بدا لها فى الصورة الملكية " صورة الملاك " لنفرت منه ولم تقدر على السماع لكلامه ودل هذا على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة فى الحسن ، وهى فى مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب ، فخافته وظنته أنه يريدها على نفسها فقالت: (**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً**) أى إن كنت تخاف الله .. فلما رأته فزعت وخشيت أن يكون إنما أرادها بسوء فقالت : إنى أحتمى والتجئ إلى الله منك ، وجواب الشرط محذوف تقديره إن كنت تقياً فاتركنى ولا تؤذنى .

(**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً**) قال لها جبريل مزيلاً لما حصل عندها من الخوف : ما أنا إلا ملك مرسل من عند الله إليك ليهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب .. (**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ**) وعلى أى صفة يوجد هذا الغلام منى؟ (**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً**) ولست بذات زوج حتى يأتينى بولد .. ولست من أهل الفجور !!

(**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**) هذه حكمة الله بمجيء الغلام منك .. وإن لم يكن لك زوج ، فإن ذلك علىّ سهل ويسير (**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ**) ودلالة وعلامة على قدرة الخالق جل وعلا الذى يخلق ما يشاء ويختار :

- فقد خلق الله آدم من غير ذكر ولا أنثى .. " بلا أم ولا أب " .
- وخلق حواء من ذكر بلا أنثى .. " من أب بلا أم " .
- وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر .. " من أم بلا أب " .
- وخلق الخلق من ذكر وأنثى .. " من أم و أب " .

وبهذا تمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرة الله وعظيم سلطانه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ..

(**وَرَحْمَةً مِنَّا**) للعالمين .. بجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة ربه فى مهده وكهولته .. ((**إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**

اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ)) (١)

قالت مريم عليها السلام :

كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو فى بطنى ، وإذا كنت مع الناس سبح فى بطنى وكبر .

وقوله (**وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً**) أى : وكان وجوده أمراً لا بد منه ولا تبديل له ، لأنه فى سابق علم الله تعالى .

يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال أنها استسلمت لقضاء الله تعالى .

وإن الملك عند ذلك هو جبريل عليه السلام ... نفخ فى جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت فى الفرج ، فحملت بالولد بإذن الله تعالى ، فلما حملت ضاقت ذرعاً ، ولم تدر ماذا تقول للناس ؟ فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به ، غير أنها أفشت سرها ، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا ، وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك ، فحملت امرأته ، فدخلت عليها مريم ، فقامت إليها فاعتنقتها ، وقالت أشعرت يا مريم أنى حبلى ؟ فأجابتها مريم بسؤال مثله ، وهل علمت أيضاً أنى حبلى ؟ وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها، وكانوا بيت إيمان وتصديق .. ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذى فى بطنها يسجد للذى فى بطن مريم ، أى يعظمه ويخضع له ، فقد كان السجود فى ملتهم عند السلام مشروعاً ، كما سجد ليوسف أبواه وإخوته ، وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام.

ولكن السجود هذا حرام فى ملتنا السمحاء تكميلاً لتعظيم جلال الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) آل عمران (٤٥ – ٤٦) .

إن عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، ابنا خالة وكان حملهما معاً ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أرى أن ما في بطني يسجد لما في بطنك وهذا لتفضيل عيسى عليه السلام ، لأن الله جعله يحيى الموتى .. ويبرئ الأكمه والأبرص .

ولقد اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام . فالمشهور عند الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر ، وقيل ثمانية ، وقيل لم يكن إلا أن حملت فوضعت : (**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ**) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً**)) (١) فهذه الفاء للتعقيب بحسبها .

وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوماً ، وقال تعالى : ((**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً**)) (٢) فالمشهور الظاهر ، والله على كل شيء قدير .. أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ، ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له : " يوسف النجار " .. فلما رأى ثقل حملها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه عن نفسه .

وذات يوم حمل نفسه على أن عرض لها في القول فقال : يا مريم : إني سائلك عن أمر فلا تعجلي عليّ . قالت : ما هو ؟

قال : هل يكون قط شجر من غير حب ؟

وهل يكون زرع من غير بذر ؟

وهل يكون ولد من غير أب ؟

فقالت : نعم .. وقد فهمت ما أراد ... وما أشار إليه !!

أما قولك هل يكون شجر من غير حب ، وزرع من غير بذر ، فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر .

---

(١) المؤمنون (١٢ – ١٤) .

(٢) الحج (٦٣) .

وأما قولك هل يكون ولد من غير أب . فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم . فصدقها وسلم لها حالها .

ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكاناً قصياً ... أى بعيداً عنهم لئلا تراهم ولا يروها .

فلما حملت به وملأت قلتها ورجعت ، استمسك عنها الدم ، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون ، حتى فطر لسانها ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا ، وشاع الحديث فى بنى إسرائيل .. فقالوا :

إنما صاحبها يوسف النجار ولم يكن معها فى الكنيسه غيره .

فتوارت عن الناس واتخذت من دونهم حجاباً ، فلا يراها أحد ولا تراه ((**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ**)) واضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة فى مكانها الذى اتخذته بعيداً .. وكان شرقى محرابها الذى تصلى فيه من بيت المقدس على ثمانية أميال منه .. فى قرية هناك يقال لها : " بيت لحم " .

فلما جاءها المخاض .. وأحست بالميلاد (**قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**) وهذا فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتنة .

فلقد علمت مريم أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ، ولا يصدقونها في خبرها ، وبعد أن كانت عندهم عابدة ناسكة ، تصبح عندهم فيما يظنون غير ذلك .. فقالت (**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا**) أى قبل هذا الحال (**وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**) أى لم أخلق ولم أك شيئاً .

(**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا**) عيسى بن مريم بقوله : (**أَلَّا تَحْزَنِي**) أى لا خوف عليك ولا حزن (**قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**) نهراً تشربين منه .. وبحراً من العلم والمعرفة والهدى .. يسقى العالمين .. وهو : عيسى بن مريم النبى الكريم (**وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**) [1] .

---

(١) آل عمران (٤٥) .

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) أى وخذى إليك بجذع النخلة ، وقد كانت يابسة ولم تكن في أبان ثمرها ، ولهذا إمتن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاماً وشـراباً. فقـال : ((تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً)) أى : طيبى نفساً .

وقال عمر بن ميمون : ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب. ثـم تـلا قوله تعالى :

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً) .

وقد أثبت العلم الحديث هذا .. وأكثر من هذا : أن التمر والرطب حصانة للمرأة من أمراض النفاس والولادة في أيام الوضع الأولى .

وهناك أحاديث وردت عن النبى (ﷺ) منها :

- أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم عليـه السـلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها .
- أطعموا نساءكم الولد الرطب .. فإن لم يكن رطب .. فتمر.. وليس من الشـجر شجرة أكرم على الله .. من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران[1].

(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً) مهما رأيت من أحد (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً) والمراد : أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعـام والكلام وقيل إنه لما قال عيسى لمريم " لا تحزنى " قالت :

وكيف لا أحزن وأنت معى ، لا ذات زوج ولا مملوكة .. أى شيء عذرى عند الناس ؟ يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً .. قال لها عيسى :

أنا أكفيك الكلام (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً) مهما رأيت من أحـد (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً).

يقول تعالى مخبراً عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها .. ذلك .. وأن لا تكلم أحداً من البشر ، فإنها ستكفى أمرها ، ويقام بحجتها ، فسلمت لأمر الله عز وجـل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها .. فأتت به قومها تحمله ، فلمـا رأوهـا كـذلك

(١) رواه أبو يعلى .

أعظموا أمرها واستنكروه جداً ، وقالوا : يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، وأمراً منكراً عظيماً .

وقيل إنه لما خرج قومها في طلبها ، وكانت من أهل بيت نبوة وشرف ، فلم يحسوا منها شيئاً ، فلقوا راعى بقر ، فقالوا : رأيت فتاة كذا وكذا نعتها ؟ .

قال : لا .. ولكنى رأيت الليلة من بقرى ما لم أره منها قط .

قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادى .

ولقد رأوا نوراً ساطعاً فتوجهوا حيث رأوا، فاستقبلتهم مريم ، فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها ، فجاءوا حتى قاموا عليها .. (**قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ**) يا شبيهة هارون في العبادة (**مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**) إنك من بيت طيب طاهر .. معروف بالصلاح والعبادة والزهد .. فكيف صدر هذا منك.

يا أخت هارون :

- أى : يا أخت هارون وموسى في التقوى وقد كانت من نسلهما .
- وقيل : إنها نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تتأسى به في العبادة والزهادة .
- وقيل : إنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له : هارون .
- وقيل : هى أخت هارون لأبيه وأمه وهى أخت موسى أخى هارون التى قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وهذا القول خطأ محض فقد ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم : أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً ، وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما.

ولهذا ثبت في صحيح البخارى عن أبى هريرة (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال ((أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى)) ولو كان الأمر كما

زعم " القرظى " وهو صاحب الرواية .. لم يكن متأخراً عن الرسل سوى " محمد " (ﷺ) ولكان قبل سليمان بن داود ، فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى :

((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) [1] وذكر القصة إلى أن قال : " وقتل داود جالوت " .

والذى جرأ " القرظى " على هذه المقالة ما فى التوراة بعد خروج موسى وبنى إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه . قال :

وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدف هى والنساء معها ، يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم الله به على بنى إسرائيل ، فاعتقد " القرظى " أن هذه هى أم عيسى ، وهذه هفوة وغلطة شديدة .

بل هى باسم هذه ، وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم .

فعن المغيرة بن شعبة قال :

بعثنى رسول الله (ﷺ) إلى نجران ، فقالوا : أرأيت ما تقرءون (**يا أخت هارون**) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟

قال : فرجعت وذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال :

((**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم**)) [2] .

وعن محمد بن سيرين قال : أنبئت أن كعباً قال : إن قوله (**يا أخت هارون**) ليس بهارون أخى موسى ، قال: فقالت عائشة (رضى الله عنها) : كذبت .. قال: يا أم المؤمنين إن كان النبى (ﷺ) قال فهو أعلم وأخبر .. وإلا فإنى أجد بينهما ستمائة سنة أو يزيد، فسكتت .. وفى هذا التاريخ نظر!!

---

(١) البقرة (٢٤٦) .

(٢) رواه مسلم والترمذى .

- وقيل : " يا أخت هارون" كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحاً محبباً في عشيرته، وليس بهارون أخى موسى ولكنه هارون آخر، وقد ذكر أنه شيع جنازته يوم مات : أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بنى إسرائيل .

وقوله (**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**) أى أنهم لما استرابوا في أمرها ، واستنكروا قضيتها ، وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة ، فأحالت الكلام عليه ، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه ، فقالوا متهكمين بها ظانين أنها تزدرى بهم ، وتلعب بهم (**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**) فأشارت إليه قالت : كلموه ، فقالوا : على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبياً .

وقيل : إنها لما أشارت إليه ، غضبوا وقالوا : لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبياً .. وإن هذا في حد ذاته أشد علينا من زناها .

(**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**) أى من هو موجود في مهده ، في حال صباه وصغره كيف يتكلم ؟!

قال : إنى عبد الله .

أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه .

وقوله : (**آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**) تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة فعندما قالوا لأمه ما قالوا .. كان يرتضع ثديه ، فنزع الثدى من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال : " إنى عبد الله .. "

وقيل إنه : رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول : (**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**) .

(**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**) (**آتَانِيَ الْكِتَابَ**) أى قضى أنه يؤتينى الكتاب فيما مضى .

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال :

كان عيسى بن مريم قد درس الإنجيل وأحكمها .. وهو في بطن أمه .. فذلك قوله : (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً) .

وقد لقى عالماً هو فوقه في العلم ، فقال له يرحمك الله ، ما الذى أعلن من علمى ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإنه دين الله الذى بعث به أنبياءه إلى عباده .

وقد أجمع العلماء على قوله سبحانه وتعالى : (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ) وقيل ما بركته ؟ قال :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. أينما كان .

وقوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً) كقوله تعالى لمحمد (ﷺ) (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [1] .. وهو إخبار لعيسى من الله .. بما هو كائن من أمره إلى أن يموت. ما أبينها لأهل القدر.

وقوله (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي) أى وأمرنى ببر والدتى .. ذكره بعد طاعة ربه .. لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته ، وطاعة الوالدين كما قال تعالى :((وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)) [2] وقوله :

((أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)) [3] وقوله :

(ولم يجعلنى جبارا شقيا) .

أى ولم يجعلنى جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتى فأشقى بذلك وقيل : الجبار الشقى هو :

- الذى يقتل على الغضب .
- ولا تجد سيىء الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً. ثم اقرأ ((وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)) [4] .

---

(١) الحجر (٩٩) .

(٢) الإسراء (٢٣) .

(٣) لقمان (١٤) .

وقد ذكر أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبى للبطن الذى حملك ! ، فقال نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام يجيبها :

طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً !.

وقوله سبحانه وتعالى :

(وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً) إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وإنه مخلوق من خلق الله يحيى ويمات ويبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التى هى أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه .

(ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)

يقول تعالى للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .. هذا ما قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام قول الحق الذى فيه يمترون ، ويختلف فيه المبطلون والمحققون ممن آمن به وكفر به ، ولهذا قرأ الأكثرون **(قَوْلُ الْحَقِّ)** برفع " **قول** " وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر " قول الحق " وعن ابن مسعود أنه قال (**ذلك عيسى بن مريم .. قال الحق**) والرفع أظهر إعراباً ، ويشهد له قوله تعالى **(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)** [٣] ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً نزه نفسه المقدسة فقال: **(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ)** أى عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً .

(إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

أى : إذا أراد شيئاً فإنما يأمر به فيصير كما يشاء .. كما قال : ((**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)) [١] وقوله **(وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)** أى : ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده : أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم .. وأمرهم بعبادته فقال :

---

(٤) النساء (٣٦) .

(٣) آل عمران (٦٠) .

(١) آل عمران (٥٩ – ٦٠) .

(فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

أى هذا الذى جئتكم به عن الله .. صراط مستقيم .. أى قويم .. من اتبعه رشد وهدى ، ومن خالفه ضل وغوى .

وقوله (فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ) .

- أى اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم اللعنة .. على أنه ولد زنا .. وقالوا هذا كلام ساحر .
- وقالت طائفة أخرى : إنما تكلم الله ..
- وقال آخرون : بل هو ابن الله .
- وقال آخرون : ثالث ثلاثة .
- وقال آخرون : هو عبدالله ورسوله .

وهذا قول الحق الذى أرشد إليه الله المؤمنين ، وقد روى نحو هذا قتادة فى قوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) .

قال : اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع .. فقال بعضهم :

- هو الله هبط إلى الأرض .. فأحيا من أحيا .. وأمات من أمات .. ثم صعد إلى السماء .. وهم " اليعقوبية " .

فقال الثلاثة : كذبت .. ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه فقال :

- هو ابن الله .. وهم " النسطورية " .

فقال الاثنان : كذبت .. ثم قال أحد الاثنين : قل فيه فقال :

- هو ثالث ثلاثة : الله إله . وهو إله . وأمه إله .. وهم " الإسرائيلية " ملوك النصارى عليهم لعنة الله .

- فقال الرابع : كذبت. بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون. فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا .. فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وذلك قول الله تعالى :

((وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)) [1] وهم الذين قال الله :

(فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) اختلفوا فصاروا أحزاباً . وقد ذكر جماعة من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم : أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم .. فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفاً ، فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، اختلافاً متبايناً، فقالت كل شرذمة فيه قولاً ، فمائة تقول فيه شيئاً .. وسبعون تقول فيه شيئاً آخر ، وخمسون تقول شيئاً آخر ، ومائة وستون تقول شيئاً ، ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم ، اتفقوا على قول وصمموا عليه ، فمال إليهم الملك ، وكان فيلسوفاً فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم .. فوضعوا له الأمانة الكبرى بل هي الخيانة العظمى .

فلقد وضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعاً كثيرة ، وحرفوا دين المسيح وغيروه ، فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها ببلاد الشام والجزيرة والروم ، فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثنى عشر ألف كنيسة وبنت أمه هيلانة قمامة على المكان الذى صلب فيه المصلوب الذى يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا – بل رفعه الله إلى السماء .. وقوله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله ، وافترى وزعم أن له ولداً ، ولكن أنظرهم الله تعالى إلى يوم القيامة ، وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم ، فإنه الذى لا يعجل على من عصاه ، كما جاء في الصحيحين .

" إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ".

---

(١) آل عمران (٢١) .

ثم قرأ رسول الله (ﷺ) ((**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**)) [٢] .

وقول الرسول (ﷺ) (**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله : أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم**) وقد قال تعالى : ((**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**)) [١] وقال تعـالى ((**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**)) [٢] ولهذا قال ههنا :

(**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) أي : يوم القيامة . ولقد جاء في الحديث الصحيح عن الرسول (ﷺ) :

((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .. وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .. وأن الجنة حق والنار حق .. أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) [٣] .

---

(٢) هود (١٠٢) .

(١) الحج (٤٨) .

(٢) إبراهيم (٤٢) .

(٣) متفق عليه .

((أصحاب الكهف))

بسم الله الرحمن الرحيم

((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)) [١]

صدق الله العظيم

---

(١) الكهف (١٣) .

أمْ حسبتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانُوا منْ آياتنا عجباً ۞ إذْ أوَى الفتيةُ إلى الكهفِ فقالُوا ربَّنَا آتنَا منْ لدنْكَ رحمةً وهيِّئْ لنَا منْ أمرِنا رشَداً ۞ فضربْنَا على آذانِهمْ في الكهفِ سنينَ عدداً ۞ ثُمَّ بعثْناهُمْ لنعلمَ أيُّ الحزبيْنِ أحصَى لمَا لبثُوا أمداً ۞ نحنُ نقصُّ عليكَ نبأهُمْ بالحقِّ إنَّهمْ فتيةٌ آمنُوا بربِّهمْ وزدْنَاهمْ هدىً ۞ وربطْنَا على قلوبِهمْ إذْ قامُوا فقالُوا ربُّنا ربُّ السَّماواتِ والأرضِ لنْ ندعُوَ منْ دونِه إلهاً لقدْ قلْنا إذاً شططاً ۞ هؤلاءِ قومُنا اتَّخذُوا منْ دونِه آلهةً لولا يأتُونَ عليهمْ بسلطانٍ بيِّنٍ فمنْ أظلمُ ممَّنِ افترَى على اللهِ كذباً ۞

وإذِ اعتزلْتُموهُمْ ومَا يعبدُونَ إلا اللهَ فأوُوا إلى الكهفِ ينشرْ لكمْ ربُّكمْ منْ رحمتِه ويهيِّئْ لكمْ منْ أمرِكمْ مرفقاً ۞

وترَى الشَّمسَ إذَا طلعتْ تزاوَرُ عنْ كهفِهمْ ذاتَ اليمينِ وإذَا غربتْ تقرضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وهُمْ في فجوةٍ منهُ ذلكَ منْ آياتِ اللهِ منْ يهدِ اللهُ فهوَ المهتدِ ومنْ يضللْ فلنْ تجدَ لهُ وليّاً مرشداً ۞

وتحسبُهمْ أيقاظاً وهمْ رقودٌ ونقلِّبُهمْ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ وكلبُهمْ باسطٌ ذراعيْهِ بالوصيدِ لوِ اطَّلعتَ عليهمْ لولَّيتَ منهُمْ فراراً ولملئتَ منهُمْ رعباً ۞

وكذلكَ بعثْناهُمْ ليتساءَلُوا بينَهُمْ قالَ قائلٌ منهُمْ كمْ لبثْتُمْ قالُوا لبثْنا يوماً أوْ بعضَ يومٍ قالُوا ربُّكُمْ أعلمُ بمَا لبثْتُمْ فابعثُوا أحدَكمْ بورِقكُمْ هذهِ إلى المدينةِ فلينظرْ أيُّهَا أزكَى طعاماً فليأتِكُمْ برزقٍ منهُ وليتلطَّفْ ولا يُشعرَنَّ بكُمْ أحداً ۞

إنَّهُمْ إنْ يظهرُوا عليكُمْ يرجمُوكُمْ أوْ يعيدُوكُمْ في ملَّتِهمْ ولنْ تفلحُوا إذاً أبداً ۞

وكذلكَ أعثرْنَا عليهِمْ ليعلمُوا أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ وأنَّ السَّاعةَ لا ريبَ فيهَا إذْ يتنازعُونَ بينَهُمْ أمرَهُمْ فقالُوا ابنُوا عليهِمْ بنياناً ربُّهُمْ أعلمُ بهِمْ قالَ الَّذينَ غلبُوا علَى أمرِهِمْ لنتَّخذنَّ عليهِمْ مسجداً ۞

سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً ۞

وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً ۞ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ۞ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ۞ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)) (١)

ولا ننسى ونحن في رحاب الأولياء أن نشير إلى هؤلاء الفتية الذين آثروا الحق على الباطل .. والإيمان على الكفر .. إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى .

يقول تعالى : (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً) .

قال ابن عباس : أنا من القليل الذى استثنى الله عز وجل . كانوا سبعة .. ليلهم كنهارهم في عبادة الله يبكون ويستغيثون بالله ، وهم : **مكسلمينا** ، **تمليخا** **ومرطونس** ، **وكسطونس** ، **وبيرونس** ، **ودنيموس** ، **وبطونس** .. وقيل : **قابوس** والله أعلم .. وقيل إن كلبهم : **قطمير** .. وقيل : **حمران** ..

وخلاصة قصة أصحاب الكهف (٢). أنهم كانوا من أبناء ملوك ، الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها ، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له " دقيانوس " وكان يأمر الناس بذلك .. ويحثهم عليه ويدعوهم إليه ، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذى يصنعه

---

(١) الكهف (٩ – ٢٦) .

(٢) ابن كثير .

قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذى خلق السموات والأرض ، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتخذ لـه مكانـاً بعيداً عنهم ، فكان أول هؤلاء الفتية قد جلس تحت ظل شجرة ، فجاء الآخر فجلس إليها عنده ، وجاء الآخر فجلس إليهم ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر .. ولا يعرف واحد منهم الآخر .. وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " وجعل كل واحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفاً منهم ولا يدرى أنهم مثله حتى قال أحدهم : تعلّمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء ، فليظهر كل واحد منكم بأمره .

فقال أولهم : أما أنا .. فإنى والله رأيت ما قومي عليه .. فعرفت أنـه باطـل وإنما الذى يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئاً .. هو الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما .

وقال الآخر : وأنا والله وقع لى كذلك .

وقال الآخر : وأنا والله كذلك .

حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة ، فصاروا يداً واحـدة ، وأخـوان صـدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه ، فعرف بهم قومهم ، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه ، فسألهم عن أمرهم ، وما هم عليه ، فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ، ولهذا أخبر الله تعالى بقوله : (**وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً**) .

و " لن " لنفى التأبيد .. أى : لا يقع منا هذا أبداً لأنا لو فعلنا ذلك لكان بـاطلاً ولهذا قال عنهم (**لقد قلنا إذاً شططاً**) أى باطلاً وكذباً وبهتاناً ، (**هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين**) .

أى : هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً (**فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً**) يقولون : بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلـك .. فيقـال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم ، وأمر بنزع لباسهم

عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم ، وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم ، فإنهم فى تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة ، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس .. أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه .

ولقد جاء في الحديث : " يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن " ففى هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع ، فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك ، وأخبر عنهم بذلك في قوله (**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ**) أى :

وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ، تفارقوهم أيضاً بأبدانكم (**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**) أى يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم (**وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**) الذى أنتم فيه (**مِرْفَقًا**) أى أمراً ترتفقون به . فعند ذلك خرجوا هربا إلى الكهف فأووا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم ، وطلبهم الملك ، فيقال إنه لم يظفر بهم .. وعمى الله عليه خبرهم .. كما فعل بنبيه محمد (ﷺ) وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور ، وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه .. مع أنهم يمرون عليه ، وعندها قال النبى (ﷺ) حين رأى جزع الصديق في قوله : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا .. فقال : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " .

وقد قال تعالى : ((**إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**))[1]

فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ، ووقفوا على باب الغار الذى دخلوه فقالوا : ما كنا نريد

---

(١) التوبة (٤٠) .

منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفى هذا نظر والله أعلم .

فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم فى الكهف بكرة وعشياً كما قال الله تعالى :

(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه **(ذَاتَ الْيَمِينِ)** أى تميل .. وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق ارتفع شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شىء عند الزوال في مثل هذا المكان ، ولهذا قال : **(وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ)** أى تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق ، فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب ، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منه شىء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شىء عند الطلوع ، ولا عند الغروب ، ولا تزاور الفىء يميناً ولا شمالاً ، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ، ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه ولله الحمد .

ويقول ابن عباس (رضى الله تعالى عنهما) إن هذا الكهف قريب من أيلة وقال ابن اسحاق هو عند نينوى ، وقيل ببلاد الروم ، وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأى بلاد الله هو .

((اكتشاف الكهف))

وقد شاء الله أن تكتشف الأجيال المعاصرة في القرن العشرين الميلادى والقرن الرابع عشر الهجرى .. هذا الكهف العظيم المبارك بكل ما حوى من نور وإيمان وكل ما فيه من حق وصدق ويقين ، فإذا بهم أمام آيات الله ، ومعجزاته جل علاه

مما يؤكد صدق هذا الكتاب الذى نزل على محمد ، وصدق هذا النبى العظيم الـذى تلقى هذا القرآن .. وإنه لصدق بلا حدود .. وعطاء محمود .

فقد اكتشف على بعد نحو سبعة أميال من عمان بـالأردن .. قريـة اسـمها : " الرجيب " وهى محرفة من اسمها القديم وهو " الرقيم " .. وبها كهف قديم عظيم والأبنية التى حوله من الحجر المنحوت في الصخر .. والتى يرجع تاريخها إلـى عصور ما قبل الميلاد .. ومع البحث والدراسة ، وجد أن هـذا الكهـف .. كلمـا أشرقت الشمس .. تزاور عنه عند طلوعها .. وتميل عنه عند غروبها .

ولقد سارعت دائرة الآثار الأردنية بالحفر والتنقيب في منطقة كهـف الـرقيم فوجدت أربعة أضرحة في الجهة الشرقية ، وأربعة أضرحة في الجهة الغربية .

وأن في الجهة الشمالية من داخله .. مقصورة متسعة وهى فعـلاً فجـوة فيـه وبعد إزالة الأنقاض من فوق ظهر المسجد الذى كان قد بنى عليـه .. عثـر فـي الكهف على نقود نحاسية وفضية رومانية وبيزنطية .. مما يؤيد ويشير إلى تاريخ هؤلاء الفتية ، وإلى تاريخ تداولها ، والمدة الطويلة التى مرت بين فترتى دخـول أهل الكهف وخروجهم ، ودخول القوم بعد ذلك بنقودهم .. وقد شوهد على جدران الكهف في اتجاهاته المختلفة .. خطوطاً .. تحمل تاريخ هؤلاء الفتيـة .. وشـواهد آيات الوحدانية لله الحق .. سبحانه وتعالى .

وأصبح الناس اليوم يزورون هذا الأثر العظيم كشاهد حق على صدق القـرآن وصدق نبى الإسلام (ﷺ) ، وصدق الله ، وصدق رسوله (ﷺ) . **(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً)** .

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى ، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها ، ولهـذا قـال تعـالى : **(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ)** وقد ذكر أن الذئب ينام فيطبق عيناً ويفتح عيناً .. ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد .. كما قال الشاعر .

ينـــام بإحـــدى مقلتيـــه ويتقـــى
بـــأخرى الرزايـــا فهـــو يقظـــان نـــائم

وقوله تعالى : (**وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ**) قال بعض السلف : يقلبون فـــي العام مرتين .. وقال ابن عباس : لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض ، وقوله (**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**) أى بالباب يحرسهم ، وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم ، وكان جلوسه خارج الباب ، لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة أو جنب أو كافر .. كما جاء في الحديث [1] .

وشملت كلبهم بركتهم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحـــال ، وهـــذا فائدة صحبة الأخيار ، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن .

وقد قيل إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه ، وقيل : كلب طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين ، وصحبه كلبه .. والله أعلم .

وجاء عن الحسن البصرى (رضي الله عنه) أن اسم كلب أهل الكهف : " قطمير " واســـم كبش إبراهيم عليه الصلاة والســـلام : " جـــريـــر " واســـم هـــدهـــد سليمان عليه الصلاة والسلام : " عنفز " واسم عجل بنى إسرائيل الذى عبدوه : " يهموت " .

وهبط آدم عليه السلام : " بالهند " ، . وحواء : " بجده " ، وإبليس : " بدســـت بيسان " ، والحية : " بأصفهان " .

يقول تعالى (**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً**)

أى : أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم .. لما ألبسوا من المهابة والذعر .. لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس .. حتى يبلـــغ الكتاب أجله .. وتنقضى رقدتهم التى شاء تبارك وتعالى فيهم .. لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة .

((**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً**

---

(١) رواه البخارى .

فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ۞ إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً »

يقول تعالى : كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبصارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئاً .. وذلك بعد ثلاث مائة وتسع سنين ، ولهذا تساءلوا بينهم (**كم لبثتم؟**) أي كم رقدتم (**قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم**) لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول النهار واستيقاظهم كان في آخر النهار .. ولهذا استدركوا فقالوا (**أو بعض يوم .. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم**) أى : الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع من التردد في كثرة نومهم فالله أعلم . ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا : (**فابعثوا أحدكم بورقكم**) أى : دراهمكم هذه وذلك أنهم كانوا قد أخذوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها .. فتصدقوا منها وبقى منها .. فلهذا قالوا : (**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة**) أى : مدينتكم (**فلينظر أيها أزكى طعاماً**) أى : أطيب طعاماً .. كقوله (**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً**)[1] وقوله (**قد أفلح من تزكى**)[2] ومنه الزكاة التى تطيب المال وتطهره وقيل أكثر طعاماً ومنه زكاة الزرع إذا كثر. قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة

والسبع أزكى من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصدهم .. إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً ، وقوله (**وليتلطف**) أى في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه .. يقولون وليختف كل ما يقدر عليه (**ولا يشعرن**) أى ولا يعلمن (**بكم أحداً .. إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم**) أى إن علموا بمكانكم (**يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم**) أى أصحاب " دقيانوس " الملك الجبار .. فهم يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم .. فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب .. إلى أن يعيدوهم في ملتهم التى هم عليها أو يموتوا

(١) النور (٢١) .

(٢) الأعلى (١٤) .

وإن وافقتموهم على العودة في الدين الباطل وهو عبادة الأوثان ، فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال : (**وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**) .

((وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)) .

يقول تعالى (**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ**) أى أطلعنا عليهم الناس (**لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا**) وكان قد حدث لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة .

وكان منهم طائفة قد قالوا : تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد ، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، ولما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشى في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة ، وذكروا أن اسمها " افسوس " وهو يظن أنه قريب العهد بها ، وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم

وأرى رجال الحى غير رجاله

فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلد التى يعرفها ، ولا يعرف أحداً من أهلها ، لا خواصها ولا عوامها .. فجعل يتحير في نفسه ويقول : لعل بى جنونا أو مساً أو أنا في حلم .. ويقول : والله ما بى شيء من ذلك ، وإن عهدى بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة .. ثم قال : إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لى ، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام ، فدفع إليه ما معه من النفقة وسأله أن يبعيه بها طعاماً فلما رآها ذلك الرجل أنكرها ، وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره ، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون : لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره ، ومن أين له هذه النفقة ، لعله وجدها من كنز .. وممن أنت ؟ فجعل يقول لهم : أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها

عشية أمس وفيها " دقيانوس " ، فنسبوه إلى الجنون .. فحملوه إلى ولـــى أمـــرهم فسأله عن شأنه وخبره .. حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله ، وما هو فيـــه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف – الملك وأهل البلد جميعاً – حتى انتهى بهم إلى الكهف .. فقال لهم : دعونى حتى أتقدمكم في الدخول ولأعلم أصحابي فـدخل فيقال إنهم دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مســلماً واســمه " تندوسيس " ففرحوا به وآنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليـــه ، وعـــادوا إلـــى مضاجعهم ، وتوفاهم الله عز وجـــل . (**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ**) أى كمـــا أرقـــدناهم وأيقظناهم بهيآتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان .. (**لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**) أى : في أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكـــر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم (**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ**) أى : سدوا عليهم باب الكهف وذروهم على حالهم (**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً**) وقد جاءنا في هذا قولان : .. الأول : إن الذين قالوا هذا (**لنتخذن عليهم مسجداً**) مسلمون ، والثانى أنهم مشركون .. لأن النبـــى (ﷺ) قال : " **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد** " يحذر ما فعلوا ، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه لما وجد قبـــر دانيال في زمانه بالعراق : أمر أن يخفى عن الناس .. وأن تدفن تلك الرقعة التـــى وجدوها عنده. لأن فيها شيء من الملاحم وغيرها .

((**سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً**)) .

يقول تعالى : مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف .. فحكـــى : ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ، ولما ضعف القَوْلين الأولين بقولـــه (**رَجْماً بِالْغَيْبِ**) أى : قول بلا علم كمن يرمى إلى مكان لا يعرفه فإنـــه لا يكـــاد يصـــيب وإن أصاب فبلا قصد ، ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله (**وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**) فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر ، وقوله (**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ**) إرشاد

إلى أن الحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى .. وقوله (**مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ**) أى من الناس .. وقال ابن عباس : أنا من القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة .. ثم يقول تبارك وتعالى : (**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِراً**) أى سهلاً يسيراً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة .. فهو كما يقولون : علم لا ينفع وجهل لا يضر .. (**وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً**) أى : فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب .. أى : بلا إسناد ، وقد جاءك الحق – يا محمد – الذى لا لبس فيه ولا شك فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال .

((**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**))

هذا إرشاد من الله تعالى .. لرسول الله (ﷺ) .. إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء .. ليفعله في المستقبل .. أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذى يعلم " ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون " كما ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه قال :

" **قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة (من نسائه) تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله .. ونسى أن يقول إن شاء الله .. فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة .. نصف غلام** " .

فقال رسول الله (ﷺ) " والذى نفسى بيده لو قال : " إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته ولقاتلوا في سبيل الله .. أى لرزقه الله سبعين فارساً يقاتلون في سبيل الله .. " .

(**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**) أى إذا هممت بأمر ما .. أو إذا قصدت شيئاً تريد أن تفعله .. واذكر ربك إذا نسيت شيئاً تريد أن تذكره لأن النسيان من الشيطان كما قال فتى موسى (**وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**) فذكر الرحمن يطرد الشيطان ، واذكر ربك

إذا غضبت ، أو أصابك حزن أو غم .. «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»[1]

فذكر الله هو الحصانة والسياج الذى يحيط صاحبه فلا يمس بسوء ، وكأن عليه ستاراً من فولاذ .

ثم يقول تعالى : « وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۞ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا»

وهذا إخبار من الله تعالى بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم .. منذ أن أرقدهم الله إلى أن بعثهم .. وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان .. وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة .. تزيد تسع سنين .. بالسنة الهلالية (أى بالتوقيت العربى) .. وهى ثلاثمائة سنة .. بالسنة الشمسية .. وإن التفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية .. ثلاث سنوات .. فلهذا قال بعد الثلاثمائة : وازدادوا تسعاً ، وقوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) أى : إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله تعالى .. فلا تتقدم فيه بشىء بل قل في مثل هذا : (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى : لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه عليه من خلقه (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۞ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..) وقوله : (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) أى : إنه لبصير بهم سميع لهم .. فما أبصره .. وما أسمعه .. ما أبصر الله لكل موجود .. وأسمعه لكل مسموع .. لا يخفى عليه من ذلك شىء .. فلا أبصر من الله ولا أسمع .. يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم .. وهو السميع البصير ، وقوله (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) أى : أنه تعالى هو الذى له الخلق والأمر الذى لا معقب لحكمه .. وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير .. وهو على كل شىء قدير .

---

(١) البقرة (١٥٦ – ١٥٧) .

((الخلاصة)) [1]

وخلاصة قصة أصحاب الكهف كما ذكرها المفسرون : أن ملكاً جباراً يسمى " دقيانوس " ظهر على بلدة من بلاد الروم تدعى : " طرطوس " بعد زمن عيسى عليه السلام ، وكان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام .. ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، فلما رأى الفتية ذلك حزنوا حزناً شديداً وبلغ خبرهم الملك الجبار .. فبعث في طلبهم فلما مثلوا عند الملك توعدهم بالقتل إن لمَ يعبدوا الأوثان .. ويذبحوا للطواغيت ، فوقفوا في وجهه وأظهروا إيمانهم وقالوا : (**رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً**)[2] فقال لهم : إنكم فتيان حديثة أعماركم ، وقد أخرتكم إلى الغد لتروا رأيكم .. فهربوا ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم ، فلما كان الصباح ، أووا إلى الكهف وتبعهم الملك وجنده ، فلما وصلوا إلى الكهف هاب الرجال ، وفزعوا من الدخول عليهم ، فقال الملك : سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً ، وألقى الله على أهل الكهف النوم .. فبقوا نائمين وهم لا يدرون ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم أيقظهم الله وظنوا أنهم أقاموا يوماً أو بعض يوم ، وشعروا بالجوع فبعثوا أحدهم ليشترى لهم طعاماً ، وطلبوا منه التخفى والحذر فسار حتى وصل البلدة ، فوجد معالمها قد تغيرت ، ولم يعرف أحداً من أهلها ، فقال في نفسه : لعلى أخطأت الطريق إلى البلدة ، ثم اشترى طعاماً ، ولما دفع النقود للبائع جعل يقلبها في يده ويقول : من أين حصلت على هذه النقود؟! واجتمع الناس وأخذوا ينظرون لتلك النقود ويعجبون ثم قالوا : من أنت يا فتى لعلك وجدت كنزاً ؟ فقال : لا والله ما وجدت كنزاً .. إنها دراهم قومى ، قالوا له إنها من عهد بعيد ومن زمن الملك " دقيانوس " ، قال وما فعل " دقيانوس " ؟ قالوا مات من قرون عديدة ، قال والله ما يصدقنى أحد بما أقول : لقد كنا فتية ، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان ، فهربنا منه عشية أمس

---

(١) صفوة التفاسير .

(٢) الكهف (١٤) .

فأوينا إلى الكهف ، فأرسلنى أصحابى اليوم لأشترى لهم طعاماً ، فانطلقوا معى إلى الكهف أريكم أصحابى .. فتعجبوا من كلامه ورفعوا أمره إلى الملك .

وكان هذا الملك مؤمناً صالحاً .. فلما سمع بخبره خرج الملك والجند ومعه أهل البلد .. وحين وصلوا إلى الكهف. سمعوا الأصوات وجلبة الخيل .. فظنوا أنهم رسل " دقيانوس " وجنوده .. فقاموا إلى الصلاة .

فدخل الملك عليهم ومعه جنده وأهل البلدة فرآهم يصلون .. فلما انتهوا من صلاتهم عانقهم الملك .. وأخبرهم أنه رجل مؤمن .. وأن " دقيانوس " قد هلك من زمن بعيد .. وسمع كلامهم وقصتهم .. وعرف أن الله بعثهم ليكون أمرهم آية للناس .. ثم ألقى الله عليهم النوم وقبض أرواحهم .. فقال الناس :(**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**) .



رابعة العدوية

« صاحبة مدرسة الحب الإلهى .. »

و

« مؤسستها فى الإسلام .. »

« رابعة في الأرض .. وأولى في السماء .. »

أولى وإن كانــت تســمى رابعــة ... ولرب ضر كــان فيــه المنفعــة
طلعت على وجه الزمان بنورهــا ... قمراً تضىء به وشمساً ســاطعة
شغلت بــذكر الله دون العالميـــ ... ـن فــلا تراهــا لحظــة إلا معــة
جازت حدود الأرض فى صلواتها ... حتى أتت كبد الســماء الســابعة
لترى ملائكــة الســماء تحفهــا ... وتزفها بشرى الجنــان الرائعــة
وتظــل لؤلــؤة اللآلــئ رابعــة ... أولى وإن كانــت تســمى رابعــة

« تاج الدين نوفل »



ولا يفوتنا ونحن في رحاب الأولياء .. أن نذكر زهرة الأولياء الأولى .. رابعة العدوية التى تمحضت لله .. فعاشت به وله .. ولم يدخل قلبها سواه .. حتى الزواج الذى هو بغية كل امرأة .. رفضته رابعة .. برغم جمالها وحسنها .. الذى تغنى به الكتاب والشعراء .. وكانت إذا سئلت عن ذلك .. قالت : إن الله قد غطى قلبي بغطاء محبته .. فليس فيه مكان لغيره .

ولقد جاء في كتاب " الروض الفائق " قال سعد بن عثمان : كنت مع ذى النون المصرى رحمه الله في تيه بنى إسرائيل .. وإذا بشخص قد أقبل .. فقلت : يا أستاذ شخص قد أتى .

فقال : انظر من هو ، فإنه لا يضع أحد قدميه في هذا المكان إلا صديق . فنظرت فإذا هى امرأة .. فقلت : إنها امرأة .

فقال : صدّيقة ورب الكعبة . فابتدر إليها وسلم عليها .

فقالت : ما للرجل ومخاطبة النساء ؟

فقال : أنا أخوك ذو النون ، ولست من أهل التهم .

فقالت : مرحباً ، حياك الله بالسلام .

فقال لها : ما حملك على الدخول في هذا الموضع ؟

فقالت : آية من كتاب الله عز وجل .. قوله تعالى : (**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**) [1] .

فقال لها : صفى المحبة .

فقالت : سبحان الله .. أنت عارف بها .. وتتكلم بلسان المعرفة .. وتسألنى عنها ؟

فقال لها : للسائل حق الجواب .

(١) النساء (٩٧) .

فأنشدت تقول :

أحبك حبين : حب الهوى
وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

((كرامات))

ويذكر .. أن الحسن البصرى ذهب إليها .. وكانت قد وضعت قدراً فيه لحم فلما نزل عليها الحسن .. وبدأ في الحديث عن المحبة في الله .. فنسيت أن تنفخ تحت النار. فلما فرغا من صلاة العشاء .. أفرغت ما في القدر .. فوجدت أن اللحم الذى كان فيه قد طهى بقدرة الله ، فأكلا .. الحسن وهى .. من هذا الطعام " وكان له طعم لم تتذوق مثله قط من قبل " .

كذا ..

ويروى أن عالمين ذهبا لزيارة " العدوية " رضى الله عنها ؛ وكانا جائعين فأحضرت لهما .. رغيفين .. لا تملك غيرهما .

وبعد لحظة .. جاء سائل بالباب ، فأخذت الرغيفين من أمام العالمين فقدمتهما للمسكين .. فاندهش العالمان .. وجلسا يتأملان ما جرى .

ولم تمض لحظات حتى أقبلت ، خادمة تحمل مفرشاً من الخبز .. وضعته أمام رابعة وقالت : " إن سيدتي في خدمتك " فلما عدَّت رابعة الأرغفة وجدتها ثمانية

عشر ، فأعادتها إلى الخادمة مع المفرش وقالت : خذيها واذهبى ، لقد أخطأت العدد ، فقالت الخادمة : كلا لم أخطئ .. فقالت رابعة : كلا ، بل ثمة خطأ فأخذت الخادمة المفرش وذهبت إلى سيدتها ، وروت لها كل ما حدث .. فوضعت السيدة رغيفين آخرين مع بقية الأرغفة وأرسلتها فأحصت رابعة عددها .. فوجدته عشرين ، فوضعتها أمام ضيفيها من العلماء .. فلما فرغا من الطعام .. سألاها السر فيما حدث .. فأجابت رابعة : " لما وصلتما عرفت أنكما جائعان .. فقلت لنفسى : ليس عندى إلا القليل .. وفى تلك اللحظة .. جاء السائل الذى أعطيته الرغيفين ثم دعوت هذه الدعوة " إلهى قلت : (**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**) (١) وأنا من أجلك أعطيت رغيفين ، فأعطنى عشرة عن كل واحد .. فلما جاءت الخادمة بالثمانية عشر رغيفاً .. قلت لنفسى : ربما لا تكون لنا ، ورددتها ، فلما أعادتها بزيادة رغيفين ، فهمت أنها لنا " .

***

وذات يوم .. دخل لص بيتها ، فلم يجد غير إبريق ، فلما أراد الخروج .. قالت له رابعة :

يا هذا إن كنت من الشطار فلا تخرج بغير شىء .

فقال : إنى لم آخذ شيئاً .

فقالت : يا مسكين ، توضأ من هذا الإبريق ، وادخل في هذا المخدع ، وصل ركعتين ، فإنك ما تخرج إلا بشىء .

ففعل ما أمرته به ، فلما قام يصلى .. رفعت طرفها إلى السماء وقالت :

سيدى ومولاى هذا قد أتى بابى ولم يجد شيئاً عندى ، وقد أوقفته ببابك ، فلا تحرمه من فضلك وثوابك .

فلما فرغ من صلاة الركعتين لذَّت له العبادة .. فما برح يصلى إلى آخر الليل فلما كان وقت السحر .. دخلت عليه رابعة .. فوجدته ساجداً **وهو يقول في سجوده** معاتباً نفسه :

---

(١) الأنعام (١٦٠) .

إذا مـــا قـــال لــــى ربـــى

أمـــا اســـتحييت تعصـــينى

وتخفـــى الـــذنب مـــن خلقـــى

وبالعصـــــيان تـــــأتينى

فمـــا قـــولى لـــه لمـــا

يعـــــاتبنى ويقصـــــينى

فقالت له رابعة :

حبيبى ! كيف كانت ليلتك ؟

فقال : بخير ! وقفت بين يدى مولاى ، بذلى وافتقارى ، فقبل عذرى ، وجبـر كسرى ، وغفر ذنبى .. وحقق مطلوبى .

ثم خرج هائماً على وجهه ، فرفعت رابعة كفيها إلى السماء وقالـت : سـيدى ومولاى ، هذا وقف ببابك ساعة فقبلته ، وأنا منذ عرفتك بين يديك ، أتراك قبلتنى؟

فنوديت يا رابعة .. من أجلك قبلناه وبسببك قربناه .

ومما يؤثر عنها .. أنها وضعت يوماً النار في يد ، والماء في اليد الأخرى ثـم راحت تقول :

((**سأشعل النار في الجنة ، وأسكب الماء على النار ، حتى ينجاب الغشـاءان عن طريق السالكين إلى الله ، وتبين مقصودهم ، ويشاهدون الله لا يحدوهم أمـل ولا يفزعهم خوف ، أفإن لم يكن جنة ولا نار ، لم يعبد الله أحـد ، ولـم يطعـه أحد؟**)) ثم تناجيه سبحانه وتعالى :

((**إلهى .. إن كنت أعبدك خوفاً من نارك ، فاحرقنى بها ، وإن كنـت أعبـدك من أجل محبتك ، فامنحنى الجزاء الأكبر .. امنحنى مشاهدة وجهك الكريم .. يا ذا الجلال والإكرام**)) .

((**إلهى .. كل ما قدرته لى من خير فى هذه الدنيا .. أعطه لأعدائك .. وكل ما قدرته لى فى الجنة .. امنحه لأحبابك .. لأنى لا أسعى إلا إليك .. أنت وحدك**)) .

وكانت رابعة العدوية .. قد ناظرت بعض الصالحين وطرحت عليهم سؤالاً وطلبت منهم إجابتها عنه .

إنكم تعبدون الله رجاء الجنة أو مخافة النار .. فماذا لو لم تكن ثمة جنة ولا نار؟

" فأجابوها بسؤال مثله ... وأنت ، لماذا تعبدين الله ؟ فأجابت : إنما أعبده لذاته أفلا يكفينى نعمة منه أنه يأمرنى بعبادته ".

فقيل لها ..

وما تقولين فى الجنة ؟

قالت : الجار ثم الدار .. أى : وجهه الكريم .. قبل جنة النعيم .

إنها رابعة العدوية .. وليست رابعة .. بل .. أولى .

فهى أول من وضعت حجر الأساس فى بناء صرح التصوف الإسلامى وهى أول من أرست مبادئ وقواعد الحب الإلهى .

وهى زهرة الأولياء .. وجوهرة الأتقياء .. ونجمة الصفاء .

وهى أول من نزلت بحر الحب .. وسبحت فيه .. وكانت أول السابحين .

وهى أول من فتحت باب العشق أمام العاشقين والهائمين والسابقين .

فلم تترك للاحقين قليلاً ولا كثيراً .. فى عالمها الروحى الفياض .. إلا فاحت به وأفاضت فيه .. فصارت بحق سيدة العذارى ومرشدة الحيارى .. إلى الحب والحق والسلام .. وباعثة السكينة .. فى قلوب المؤمنين على الدوام .



((أحمد بن حنبل))

((بين الابتلاء والمحنة))

((والله لو مرت على ليلة دون أن أرى فيها رسول الله (ﷺ) في المنام لا تهمت نفسى بالنفاق)) .

" أحمد بن حنبل "

" وكـان قـد رأى رسـول الله (ﷺ) فـى المنـام ذات ليلة .. يقول له : يا أحمد ، إن الله مبتليك ، فإن تصبر .. يرفع الله لك علماً يوم القيامة .. "

((صدق رسول الله (ﷺ)))



يقول إبراهيم الحربى : رأيت فى المنام ((بشراً الحافى)) كأنه خارج من مسجد الرصافة وفى كمه شيء يتحرك .. فقلت له : ما فعل الله بك بعد موتــك ؟ قــال : غفر لى وأكرمنى .

فقلت : فما هذا الذى فى كمك ؟ . قال : قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليها الدر والياقوت .. فهذا الذى مما التقطت .. قلت : فما فعل الله بيحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ؟ .. فقال تركتهما وقد زارا رب العالمين .. ووضعت لهما الموائد .. قلت : فلم لا تأكل معهما ؟ .. قال : قد عرف الله هوان الطعــام علــى فأباحنى النظر إلى وجهه الكريم .

***

يقول الإمام أحمد بن حنبل : والله لو مرت على ليلة دون أن أرى فيها رســول الله (ﷺ) فى المنام لاتهمت نفسى بالنفاق .

فيروى أنه (رضي الله عنه) رأى فى المنام رسول الله (ﷺ) ذات ليلة يقول له : ... يــا أحمد .. إن الله مبتليك فإن تصبر يرفع الله لك علماً يوم القيامة .

وكان (رضي الله عنه) قد ابتلى بهؤلاء الظالمين .. فى قضية ابتدعوها .

((**القرآن : قديم أم مخلوق ؟**))

.. تلك هى القضية .

والقرآن كلام الله قديم .. وليس بمخلوق ، لأن المخلوق يموت .. والقــرآن لا يموت .

ومن قال بهذا فقد كفر ...

ولكن هؤلاء أرادوا أن يبتدعوها بدعة كبرى .. وفتنة عظمى .. راح ضحيتها الأبرياء من العلماء والفقهاء والأولياء .

ولما كان جواب الإمام أحمد ثابتاً لا يتزعزع ... بأن القرآن كلام الله قديم وليس بحادث .

... وكان الإمام مكبلاً فى قيوده الثقيلة .. وهو لا يقوى على الحركة .. لكبر سنه .. وثقل قيوده .. وذلك جزاء ثباته على الحق .

وعندما أرادوا أن يجلدوه .

- قال له أصحابه :

أهرب يا إمام .

- فقال لهم :

وإذا هربت من قدرى فمن يقع عليه القدر ؟

وقد جاءوا به .

وطرحوه على الأرض وجلدوه .

وكانت الجلدة الأولى .. ودمه يجرى على الأرض .. فقد كان ضعيفاً وعند الجلدة الستين أغمى عليه .. وكان القانون مائة جلدة لكنه كان يبتسم .

- فسأله أصحابه بعد أن أفاق :

فيم كنت تبتسم يا إمام ودماؤك تسيل ؟

- فقال لهم :

وأنتم فيم كنتم تبكون ؟

- فقالوا له : .. كنا نبكى من أجل الجلاد .

- فقال لهم :

أنتم تبكون وأنتم تنظرون إلى الجلاد ، وأنا كنت أبتسم وأنا أرى رب العباد ومات الإمام .

ولما مات الإمام أحمد (ﷺ) خرجت بغداد على بكرة أبيها .. وكأنها يوم المحشر .

يقول " الوراق " أحد تلاميذ الإمام أحمد .. وهو الذى كان يحمل له أوراقـه : خرجت بغداد لتشييع جنازة الإمام أحمد بن حنبل ..

حتى لو ألقيت إبرة .. لوقعت على رأس أحد المشيعين ..

لقد مات الإمام أحمد .

بعد أن تتلمذ على يديه مائة ألف تلميذ .

وكان يلقى دروسه بصوت خفيض لمرضه .

لكنه كان يسمعه كل من فى المجلس .. وهذه رحمة الله عليه .

فقد كان يبلغ صوته تلاميذه جميعاً .. أولهم كآخرهم .. وآخرهم كأولهم وهـذه كرامة من كراماته .. (ﷺ) .

وبعد أن دفنوه .

- يروى تلميذه الوراق :

جاءنى الإمام أحمد فى المنام .

فرأيته يرتدى ثياباً لم أره بها من قبل .. يرفل فى مشيته .. ويزهو فى هيئته .

- فقلت له : ما هذه المشية يا إمام ؟ .

- قال : هذه مشية الخدام .. فى دار السلام .

- فقلت له : ماذا قال الله لك ؟

- قال الإمام : قال الله لى : أنت أحمد ؟ .

- قلت : يا رب أنت أعلم .

- قال لى : جلدوك من أجلى ؟

- قلت : يا رب أنت أعلم .

- قال لى : وسال دمك من أجلى ؟

- قلت : يا رب أنت أعلم .

- قال لى : يا أحمد .. لا أجد لك أجراً عندى ، إلا أن أبيحك وجهى تنظر إليـه بكرة وعشياً .

أما بعد

فالقرآن كلام الله .. وهو السبيل إليه .

ومن أراد أن يكلم الله أو يتكلم الله معه .. فليقرأ كلامه .. ويستمع إليه .. فكلام الله هو القرآن .

يبقى ببقاء الله الباقى .. بقاء السرمد والخلود والأزل .. فمن ادعى غير ذلك فقد فتن وافتتن .

وقد استطاع الإمام أحمد (رضوان الله عليه) أن ينتصر لله وبالله على أعداء الله فقد حبسه أهل البدع من المعتزلة .. حتى يرضخ لرأيهم دون جدوى .

- فلما أحضروه من سجنه . قال لهم :

لقد رأيت فى السجن عجباً ..

- قالوا له : وما رأيت ؟

- قال :

قمت فى نصف الليل فتوضأت لصلاة ركعتين ، قرأت فى الركعة الأولى بالفاتحة .. والفلق .. وفى الثانية بالفاتحة والناس ..

ثم جلست وتشهدت وسلمت .

ثم قمت فكبرت ، وقرأت بالفاتحة ، وأردت أن أقرأ ((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**))[1] فلم أقدر ثم اجتهدت أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر .. فمددت عينى فى زاوية السجن فوجدت عجباً .

وجدت القرآن مسجى ميتاً .. فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته .

- فقالوا له :

ويلك يا أحمد ، وهل القرآن يموت ... ؟

- فقال أحمد :

أنتم تقولون هذا .. تقولون إنه مخلوق وكل مخلوق يموت !! فنظر بعضهم إلى بعض وقد بهتوا .. قائلين .

---

(١) الإخلاص (١) .

قَهَرَنَا أحمد ...

قَهَرَنَا أحمد ...

قَهَرَنَا أحمد ...

نعم : قهرهم : ((**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**))(٢)

ويروى أن الإمام أحمد ظل يجلد .. حتى حدثت ضجة كبرى خارج القصر سمعها الخليفة وهو فى مكانه .

فلما أرسل من يستطلع الخبر ، جاءه فزعاً يقول :

يا أمير المؤمنين : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فأخرج أحمد بن حنبل ، إنى لك من الناصحين .

فقد اجتمع الناس ضد القصر من أجل إخلاء سبيل الإمام أحمد .

- ويروى :

أنه لما اشتد الضرب على الإمام أحمد بن حنبل ، انقطع خيط سرواله من أثر الضرب ، وبدأ السروال ينزلق .. فحرك الإمام شفتيه .. فعاد السروال إلى ما كان عليه ، فسأله الناس . بعد ذلك عن سر هذا .

- فقال لهم : نعم .

- لما انقطع الخيط قلت :

اللهم إلهى وسيدى ، أوقفتنى هذا الموقف ، فلا تهتكنى على رؤوس الخلائق فعاد السروال كما كان .

((خاتمة))

يروى عن عبد الأعلى بن النجم .. قال :

بت ليلة فى أيام أبى حريش وابن خلف المعافرى بمصر .

---

(٢) إبراهيم (٢٧) .

وكانت ليلة جمعة ... وأنا أقول في نفسي :

لا أدرى من أتبع .. أبا حريش وأصحابه .. وهو يقول : بخلق القــرآن .. أو ابن خلف وأصحابه .. وكان يقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق .

– قال :

فلما أويت إلى الفراش ونمت رأيت هاتفاً قد جاءني .. وقال : قم .. فقمت .

– فقال لي : قل ... فقلت : وما أقول ؟

– فقال : قل شعراً :

ســـبحان مــــن رفـــع الســـما ء بـــــلا عمـــــاد للنظـــــــر

فتزينــــــــت بالســــــــاطعات اللامعـــــــات وبـــــــــالقمر

أو مـــــن يقـــول بخلقــــه الـــــ قــــــرآن إلا مــــــن كفـــــــر

لكــــن كــــــلام منـــــزل مــــن عنـــد خـــلاق البشـــــر

وقال لي اكتبه فمددت يدي إلى كتاب من كتبي وكتبته فيه .. فلمـــا اســـتيقظت وجدته مكتوباً بالكتاب .

وكان كثير من الأئمة (رضوان الله عليهم) قد تعرضوا لما تعرض له الإمـــام أحمد بن حنبل (رضي الله عنه) .

فمثلاً الإمام الشافعي (رضي الله عنه) .

– عندما أحضروه .. وسألوه .. :

يا شافعي : القرآن قديم أم حادث ؟

– فتعمد الشافعي أن يفلت منهم وأشار إلى أصابعه .. وقال :

القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور .

كل هؤلاء الأربعة وهو يشير إليهم بأصابعه .

كل هؤلاء مخلوقون .. ونجا الشافعى منهم .. بفطنته وذكائه .

فلقد كان الشافعى يتمتع بذكاء وفطنة وشفافية بالغة حتى أنهم قالوا عنه : إنـــه أعظم عقلية على وجه الأرض .

وتمر الأيام .

ويصل إليهم هذا الكلام .

ويعلمون أن الشافعى كان يقصد أصابعه الأربعة .. وهو يتكلم .. ويستدعونه .. ويأتى الشافعى

- فقالوا : نحن نسألك سؤالاً ونريد الإجابة تحديداً .. دون لف أو دوران .

ولكن على من هذا الكلام .. مع الشافعى الإمام .. الهمام ؟! .

- يا شافعى :

القرآن قديم أم حادث ؟

قديم أم حادث ؟

قديم أم حادث ؟

- فأشار الشافعى بيده إلى نفسه .. وقال لهم :

أتقصدوننى .. ؟

- قالوا له : نعم .

- قال لهم : مخلوق .

وقد قصد أنه مخلوق هو .. وهو يشير إلى نفسه ثم خرج .

وعلموا فيما بعد أنه يقصد نفسه ... فقالوا : والله لن نتعرض له ما دام ســريع الفطنة هكذا !!



« أولياء الله »

« في نور الله »

« لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ » [1]

---

(١) يونس (٦٤) .

«أولياء الله»

«يرون بنور الله»

يروى عن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) أنه قال : بينما نحن فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) إذ رأيت أنني أصلى الفجر خلف رسول الله (ﷺ) فلما فرغت من الصلاة خلف رسول الله (ﷺ) انصرفت إلى باب المسجد فإذا امرأة واقفة بالباب ومعها طبق به تمر .. فقالت : يا على خذ هذا الطبق وأعطه رسول الله (ﷺ) ليوزعه على أصحابه .. فأخذت منها الطبق ووضعته بين يدى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. فمد يده الشريفة .. فأخذ من الطبق تمرة فوضعها فى فمى .. فقلت له : يا رسول الله .. ما أحلاها !! زدنى تمرة أخرى .. ولكننى استيقظت قبل أن يزيدنى أخرى .. استيقظت على أذان الفجر والرؤيا كلما اقتربت من الفجر .. كانت صادقة .. وذهبت إلى مسجد الرسول (ﷺ) وصليت الفجر خلف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) .. فلما فرغت من الصلاة .. انصرفت .. فإذا بباب المسجد امرأة واقفة ومعها طبق به تمر قالت : يا على .. خذ هذا الطبق من التمر .. وأعطه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. ليوزع منه على أصحاب رسول الله (ﷺ) .

فأخذت الطبق منها .. ووضعته بين يدى عمر .. فمد يده وأعطانى تمرة فى فمى .. فلما أحسست بحلو طعمها .. قلت زدنى تمرة أخرى يا أمير المؤمنين فقال عمر (ﷺ) : لو زادك رسول الله لزدناك .

فقلب على بن أبى طالب يديه عجباً .. واقترب من عمر ينظر إليه .. قائلاً : ماذا تقول يا أمير المؤمنين ؟ !.قال عمر : لو زادك رسول الله بالأمس لزدناك فقال على : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ .. !! أغيب اطلعت عليه ؟ .. أم هى رؤيا رأيتها . ؟ .. قال عمر : .. **والله ما هو غيب ولا رؤيا .. ولكنها القلوب يا على فالمؤمن إذا أخلص قلبه لله .. أصبح يرى بنور الله .**

هذا عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الله (ﷺ) : ((**لو أن نبياً بعدى لكان عمر**)) .. ويقول فيه .. : ((**لو نزل عذاب من السماء ما نجا إلا عمر**)) ((**الحق على قلب عمر ولسانه**)) .. ((**أنت سراج أهل الجنة يا عمر**)) .. ((**ما قلت قولاً وقال عمر قولاً إلا ونزل القرآن بقول عمر**)) .. ((**أكثروا من ذكر عمر فإنكم إن ذكرتم عمر .. ذكرتم العدل .. وإن ذكرتم العدل .. ذكرتم الله**)) .. وقال فيه : ((**الشيطان يفر منك يا عمر ، ما سلكت طريقاً .. إلا وسلك الشيطان طريقاً غيره**)) ..

هذا هو الفاروق عمر الذى فرق الله به بين الحق والباطل .. وهو صاحب الفتوحات الإسلامية التى امتدت من المحيط إلى الخليج .. والذى تجمع كتب التاريخ الإسلامى .. على أنه كان يخطب ذات يوم جمعة على منبر رسول الله (ﷺ) وبينما هو فى الخطبة .. إذ به يقول : ((**يا سارية .. الجبل .. الجبل من استرعى الذئب ظلم**)) والتفت المسلمون بعضهم بعضاً .. ما هذا ؟ وما شأن سارية فى الخطبة ؟ إن سارية على بعد أميال وأميال من عمر .. إنه على رأس جيش للمسلمين بينه وبين عمر مسيرة شهر أو يزيد .

ولما فرغت الصلاة .. قال على بن أبى طالب .. لعمر بن الخطاب : ما الذى سنح لك فى خطبتك ؟ .. قال وما هو ؟ .. قال على : ((قولك يا سارية الجبل الجبل .. من استرعى الذئب ظلم)) فقال عمر : وهل كان ذلك منى ؟ .. قال نعم فقال عمر : وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل .. فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا .. وقد ظفروا .. وإن جازوا هلكوا فخرج منى ما تزعم أنك سمعته .. وبعد شهر أو يزيد عاد سارية ليذكر أنه فى ذاك اليوم . سمع صوت عمر بن الخطاب .. ينادى عليه : ((يا سارية .. الجبل الجبل .. من استرعى الذئب ظلم)) قال .. فعدلنا إليه وفتح الله علينا بالامتثال لقول عمر .

فانظر معى إلى هذا الملهم عمر بن الخطاب .. الذى قال فيه المعصوم (ﷺ): ((**لو أن فى أمتى محدثين لكان عمر**)) .. ((**قد كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى أحد فعمر**)) .

((رسالة إلى النيل))

ولا ننسى أن نذكر ما حققه المؤرخون .. أن أهل مصر ذهبوا إلى عمرو بن العاص فى شهر " بؤونة " فأخبروه أن للنيل عندهم سُنّة قديمة لا يجرى إلا بها وهى أنهم إذا كانت ليلة ثلاث عشرة من شهر بؤونة عمدوا إلى جارية بكر حسناء بين أبويها .. فحملوا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقوا بها فى النيل.

فلم يجبهم عمرو بن العاص إلى ما أرادوا .. قائلاً لهم : هذا لا يكون فى الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله .. فأقاموا ((بؤونة)) ((وأبيب)) ((ومسرى)) لا يجرى فيها النيل قليلاً ولا كثيراً ، ثم رفع عمرو بن العاص خبر هؤلاء إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فاستصوب عمر ما صنع عمرو بن العاص وكتب له : إنى بعثت إليك بورقة مع كتابى هذا فألقها فى النيل ، وفى الورقة كتاب يخاطب به النيل يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ((من عبد الله .. عمر بن الخطاب إلى نيل مصر . أما بعد ، فإن كنت تجرى من لدنك فقف فلا حاجة لنا بك وإن كنت تجرى بأمر الله فامض إلى حيث أمرك)) .

وما إن ألقى عمرو بن العاص بالورقة فى النيل قبل يوم الصليب بشهر وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج فأصبحوا يوم الصليب وقد أجرى الله النيل فارتفع ستة عشر ذراعاً .. واستراحوا من ضحاياه التى كانت تلقى كل عام .

وهذه درة أخرى من درر عمر . ولؤلؤة من لآلئه التى لا تعد ولا تحصى .

((لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))

جاء فى الأثر .. عن الرواة للخبر .

إن امرأة صالحة .. جاءها ذات يوم مسكين فأعطته رغيفاً .. فعنفها زوجها البخيل ووصل به الأمر إلى أن طردها من بيته .. بخلاً وشحاً .. وبغضاء .. ولكن

المرأة الصالحة التى أسعدت هذا الزوج وكانت سبباً مباشراً لسعادته وغناه بعد أن تزوجته مسكيناً .. والتى لم تفلح معه كل إعتذاراتها وتأسفاتها .. والذى طغاه غناه وأغناه عنها .. فطلقها .. وأضاع كل معروف ضحت به من أجله .. والتى عاشت له حياتها .. تقدم كل يوم تضحية .. حتى صار ثرياً .. وما إن صار ثرياً حتى صار غنياً عنها .. ونسى ما كان فيه .. وأغفل ما مضى .. وطلق دون رحمة ودون داع يستدعى هذا .. إن أبغض الحلال عند الله الطلاق .. فالطلاق يهتز له عرش الرحمن وتتصدع له الأركان .. فهو هدم للبنيان .. وضياع للصبيان وجفاء أياً كان .

وتدور الأيام .. وعلى الباغى تدور الدوائر .. فالدهر يومان .. يوم لك ويوم عليك، .. فإذا دعتك قدرتك على ظلم الناس .. فتذكر قدرة الله عليك .

لقد علم المسكين الذى أخذ الرغيف أن هذه المرأة الصالحة طلقها زوجها من أجل ذلك الرغيف الذى أعطته إياه المرأة .. فبكى وحزن حزناً شديداً .. وآثر أن يعمل وأن يجتهد حتى لا يتسول بعد اليوم فيكون سبباً فى طلاق أخرى .. وظل يندم ويندم .. ويقول فى نفسه : لقد خربت بيتاً كان عامراً .. وهذه أول مرة ولكن .. من يدرى ؟! فقد أكون خربت بيوتاً أخرى لا أعلمها وصمم على العمل وبدأ رغم ضعفه ومرضه .. ومن كد وجد .. ومن زرع حصد فقد أصبح تاجراً وبارك الله له فى تجارته .. وشفاه من مرضه الذى لازمه طيلة أيامه الماضية ولكنه كان لا ينسى أبداً .. هذا الموقف الذى كان سبباً فى طلاق تلك المرأة ، فكان يشعر بعقدة الذنب التى تنغص عليه حياته .. وتدور الأيام .

وعلى الجانب الآخر .

تقدم رجل صالح إلى المرأة الصالحة المطلقة .. وتزوجها ... وكونا بيتاً كريماً وفتحا فيه باباً لابن السبيل .. والسائل والمسكين .. وذات يوم طرق الباب طارق .. فذهبت تفتح له .. فإذا به سائل يسأل شيئاً من طعام .. فعمدت إلى بيتها وأحضرت له من كل الخيرات التى امتلأ بها بيتها .. وقدمتها إليه .. وأغلقت الباب وعادت إلى زوجها وهى تبكى !! فقال لها ما يبكيك ؟ قالت له : سائل بالباب

رث الهيئة ، رقيق الحال يرتعش جوعاً كالعصفور إذا بلله الماء قال لها : ولكنك أكرمته .. وأطعمته وكسوته .. فما يبكيك إذن ؟ ! قالت له : ألا تعلم من هو ؟ قال لها .. لم أره قبل هذه المرة .. قالت له .. إنه زوجي السابق الذى طلقني من أجل رغيف أعطيته مسكينا .. وها هو اليوم لا يجد رغيفاً .. فقال لها زوجها : وهل تدرين من ذلك المسكين الذى طلقك زوجك من أجله ؟!

قالت له : لست أدرى .. قال لها : أنا ذلك المسكين الذى طلقك زوجك من أجله .

« الذين آمنوا وكانوا يتقون »

قال تعالى : «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» (1)
وقال الرسول الكريم (ﷺ) « تسعة أعشار الرزق من التجارة »

ويقول عمر بن الخطاب : لو كنت متخذاً تجارة لاتخذت تجارة الطيب ، فلو فاتني ربحه ما فاتني ريحه .

فلقد اهتم الرسول الكريم (ﷺ) بالطيب ، حتى إنه كان يعرف به كسمة من سماته الكريمة وسمت طيب يحيطه بالجلال والكمال والبهاء .. حتى إنه (ﷺ) إذا سار فى طريق سبقه عطره إليه .. وخرجت النساء من بيوتهن .. يسألن عن سر هذا الريح الطيب .. والمسك المختوم .. فيقلن : .. لعل محمداً قد سار .. !!

ولقد انعكس هذا الخير على أصحاب الرسول الكريم (ﷺ) فكانوا يقلدونه فى كل صغيرة وكبيرة ، وكيف لا وهو الأسوة الحسنة .. والسراج المنير .. الذى هو بالمؤمنين رؤوف رحيم .. مما حدا بعمر بن الخطاب أن يقول : لو كنت تاجراً لكانت تجارتى طيباً .

ويقولون إنه كان فى بغداد تاجر مشهور .. بتجارة العطور .. وكان هذا التاجر رجلاً صالحاً ، كثير فعل الخيرات ، وأعمال البر والصلاح .

---

(١) الطلاق (٢ – ٣) .

وعجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير .. إن أصابه خير .. شكر .. فكان خيراً له .. وإن أصابه شر .. صبر .. فكان خيراً له .

فقد أضيب هذا الرجل الصالح بكساد فى تجارتــه فـــى عـــام مـــن الأعـــوام فخسرت تجارته خسارة كبيرة .. جعلته مهموماً بعض الشيء ولكن صـــلته بـــالله جعلته فى عافية .

وذات يوم .. بينما هو يسير على شاطئ بحر .. إذ رأى صياداً يحمل مجموعة من الطيور فأعجبته .. فأحب أن يشتريها .. لتكون الطيور .. بجانـــب العطـــور فى تجارته .. فلعلها تعوضه بعض ما فقد .. فدفع كل ما معه من نقود ثمنـــاً لهـــا وظل ينفق عليها حتى إنه باع كل ما عنده من عطور .. من أجل تربية هذه الطيور وزينتها .. والمحافظة عليها .. ولم تعد له من تجارته إلا تلك الطيور .

وكان الرجل يضع هذه الطيور فى أقفاص جميلة .. أمام الناظرين والمارين من أهل بغداد .

وذات يوم أصابت هذه الطيور نوبة برد .. قضت عليها جميعاً إلا طائراً ضعيفاً نحيفاً .. شاء الله أن يبقى له من هذه التجارة .

وحزن الرجل حزناً شديداً .. إلا أنه لم ينس الله لحظة واحدة ، فكـــان إيمانـــه أقوى من الأحداث .. فإذا ذهب المال .. فرب المال باق .

وبات الرجل فى محله بجانب الطائر ، وظل يتهجد طوال تلك الليلـــة ، وهـــو يدعو الله فى قنوته وسجوده :

يا غياث المستغيثين أغثنى .. يا غياث المستغيثين أغثنى

ظل الرجل يدعو الله .. حتى مطلع الفجر .. فصلى الفجر .. وظل يسبح فـــى مصلاه حتى مطلع الشمس .. فالحديث يقول :

ما من مسلم يصلى الفجر فى جماعة ويمكث يسبح الله فى مصلاه حتى مطلـــع الشمس إلا كتب له أجر عمرة كاملة .

وعندما أشرقت الشمس .. فوجئ الرجل الصالح .. بالطائر الضعيف .. يـردد ما قاله طوال الليل فى تهجده .. يا غياث المستغيثين أغثنى .. فازداد هم الرجـل وهو يقول فى نفسه : .. لو أن الطيور بقيت لعادت على بأربعمائة درهم .. قيمـة البضاعة التى ذهبت هباء ..ولكن قدر الله وما شاء فعل .. وظل الطائر العجيـب يردد ما قاله الرجل .. يا غياث المستغيثين أغثنى .. قدر الله وما شاء فعل .. إلـى أن طار صيت هذا الطائر فى الآفاق .. وأخذ أهل المدينة ومن حولهـا يتوافـدون على محل هذا الرجل .. ليشاهدوا هذا الطائر العجيب .. وأخذ التجار والصوفيون والجاريات والبنات والشباب والأطفال يهرعون لرؤية هذا الطائر الذى صار خبر الأخبار .. وأصبح يزار .. مثل الآثار .

وشاء الله ولا راد لما أراد .

ففى ذات يوم من الأيام .. عند الأصيل .. والشمس تأذن بالرحيل تمر جاريـة الملكة .. فيعجبها هذا الطائر وتسأل الرجل .. كم تريد ثمناً لهذا الطائر .. ؟ فيقول لها الرجل : .. كما تشائين .. فتقول له : أرسله وسأرسل لك مـع حاملـه الـثمن فأرسله الرجل .. وأرسلت له الملكة ثمناً لهذا الطائر الضعيف النحيف .. ألف دينار ولم يكن يحلم بألف درهم .. وعوض الله عليه أضعاف أضعاف ما ضاع وفتح عليه وعاد لتجارته خيراً مما كان .. والله يرزق من يشاء بغير حساب .

وصدق الله : ((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)) (١)

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول :

- لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطيـر تغـدو خماصـاً وتروح بطاناً .
- حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينـى فـى الصلاة.
- وتقول العرب : خير الطيب الماء .

---

(١) الطلاق (٢ – ٣) .

« لهم البشرى »

« فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »

يقولون : إن أحد الصالحين جاءه النبى (ﷺ) فى المنام .. وأمره أن يذهب إلى رجل في قريته .. ويخبره أنه رفيق رسول الله فى الجنة .. فاستيقظ الرجل الصالح مستبشراً .. وقصد صاحبه هذا .. ليزف إليه تلك البشرى .. وطرق الباب ودخل الرجل الصالح وسلم وقال : .. لقد جئتك ولا أعرفك ولا تعرفنى ..ولكننى جئتك من لدن رسول الله (ﷺ) فقال له الرجل وهو يبكى : هو الخير إذن .. يحل دارنا والبركة .. فقال الرجل الصالح .. لقد رأيت رسول الله (ﷺ) بالأمس فى المنام وأمرنى أن أذهب إليك لأخبرك أنك رفيق رسول الله (ﷺ) فى الجنة فقال الرجل : .. ماذا تقول ؟ وظل يبكى بكاء حاراً من فرحته بهذه الرؤيا الصالحة التى يراها العبد الصالح أو ترى له .. لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

واقترب الرجل الصالح من الرجل وهو يبكى .. وقال له .. أريد أن أسألك سؤالا .. ولا تحرمنى إجابته .. فقال له الرجل : سل ما شئت .. قال : ما الشىء الذى نلت به هذه الدرجة ؟ .. فأسند الرجل ظهره .. وعيناه فى السماء وكأنه يسترجع تاريخاً قديماً .. ثم قال .. قد يكون ما جرى منذ خمسين عاماً ، لقد كان فيما مضى من الزمان ما لم يخرج من اللسان .. ولم تتحرك به الشفتان .. أما وإن رسول الله قد أمنك على رسالته إلى .. فإنى آمنك على تلك الواقعة .

بينما أنا فى مقتبل العمر .. عرض أبى على الزواج واختار لى فتاة من أسرة طيبة حسنة .. وعندما دخلت بها .. وجدتها حاملاً .. فقالت لى مستجيرة .. يا فلان ناشدتك الله .. ألا تفضحنى .. فقلت لها : .. لا عليك .. ومكثت أرعاها وأخدمها حتى وضعت مولودها .. فأخذته معى ووضعته على باب المسجد عند صلاة الفجر ودخلت أصلى الفجر مع جماعة المسلمين .. وعندما فرغنا من الصلاة ، وخرج الناس .. وجدوا الطفل على باب المسجد .. فعادوا إلى المسجد به .. وقالوا من

يأخذه ؟ .. فقلت أنا آخذه .. فقالوا أنت أولى به منا فكلنا له أولاد وأنت لم يرزقك الله ولداً .. فأخذت الطفل .. وعدت به إلى أمه .. دون أن يدرى أحد .

قال الرجل الصالح له : بهذه .. نلت هذه الدرجة يا شيخ العرب .. ادع الله لى ادع الله لى .. أن يجعلنى رفيقك فى الجنة .. فرفع الرجل يديه وقال : اللهم اجعله رفيقى فى الجنة .. ثم قال : ولكنى أوصيك .. إذا جاءك رسول الله فى المنام فأقرئه منى السلام .. وقبل لى يديه .. وأخبره أنى أريد أن أراه فى المنام قبل أن أراه فى اليقظة .. إن شاء الله .

قال له الرجل الصالح : ليتك أنت الذى رأيت لى .. قال له : ليتنى أنا الذى رأيت لك .. فكل منهما يتمنى أن يكون الآخر .. والحقيقة أنها كرامة لكل منهما حامل الرسالة .. والمرسلة إليه .

ويقول الرسول (ﷺ) :

- **من ستر عورة كان كمن أحيا موءودة .**
- **ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .**

« لا تبديل لكلمات الله »

قال تعالى « **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً** ».[1]

ويقول الرسول الكريم (ﷺ) :

من لزم الاستغفار .. جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً . ورزقه من حيث لا يحتسب .

نعم .. ورزقه من حيث لا يحتسب .

(١) نوح (١٠ – ١٣) .

من أمثال .. هذا الرجل .

فلقد كان فقيراً فقراً مدقعاً .. لا يملك إلا ثوباً مهلهلاً .. لا يصل إلى قدميه إلا أنه كان ورعاً تقياً .. واشتدت به الحاجة .. لكنه لم يسأل أحداً شيئاً .. آخذاً بقول النبى (ﷺ) ولا تسأل الناس شيئاً أعطوك أو منعوك .. وظل يستغفر ربه وهو يطوف بالبيت .. تأسياً بقول الله تعالى : **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**)). وظل على هذا الحال وهو يتضرع خاشعاً لله .. يدعو فى وجل : يا من يسمع ويرى .. قد صار حالى لا يُرى .. فما ترى فيما ترى ، يا من يرى ولا يُرى ..

ولم ينته من دعائه حتى سمع منادياً ينادى عليه من بعيد .. هلم إلينا .. فهرع إليه .. فقال له المنادى : .. عظم الله أجرك .. لقد مات عمك .. وليس هناك وارث غيرك .. فهيا معى إلى هناك .. لقد طال بحثى عنك .. وكان عمه هذا رجلاً بخيلاً شحيحاً .. يملك ثروة طائلة .. كانت من نصيب هذا المسكين .. الذى حرم منها طيلة ثلاثين عاماً .

ولا عجب فى هذا .. فللمرء فى ماله شريكان .. الوارث .. والحوادث .

فقد تجمع .. وكم تطمع .. ولا تدرى لمن تجمع .

- ويقول الرسول الكريم (ﷺ) ..

- ((**الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صدقتان**)) [1] .

- وقد سئل النبى (ﷺ) عن الصدقات أيها أفضل ؟

قال : **على ذى الرحم الكاشح ((أى الذى يضمر العداوة والبغضاء)) فلعل الصدقة أن تزيل العداوة والبغضاء من صدره** [2] .

هذا .. ولقد جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذن على رسول الله (ﷺ) فقيل يا رسول الله هذه زينب .. فقال : أى الزيانب ؟ . فقيل امرأة ابن مسعود قال :

---

(١) رواه النسائى .

(٢) رواه الطبرانى .

نعم . ائذنوا لها فأذن لها .. قالت : يا نبى الله إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندى حلى لى فأردت أن أتصدق به .. فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم . فقال النبى (ﷺ) **صدق ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم** [1] .

((ذلك هو الفوز العظيم))

قال تعالى : (**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ**) [2] وقال : ((**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**)) [3] وقال رسول الله (ﷺ) : ((**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله .. قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**)) [4] .

فالجنة عروس غالية المهر فلا يطمع فيها طامع بعمله أو تقواه .. وإنما نسعى إليها بالعمل والطاعة لله .. سائلين الله القبول .. ثم نطمع بعد ذلك فى رحمته سبحانه .

فإذا كانت الجنة بالعمل ، فلا يستحق أحد على ظهر الأرض دخولها .. لأن نعم الله على عباده أوسع من أن تدرك ، وأشمل من أن تعد وتحصى ، وليس هنالك من عمل يوازى نعمة واحدة أو يعادلها ، وإنما رحمة الله وسعت كل شىء فى ملكوته ففتحت أبواب الجنة الثمانية لمن أراد أن يعود إليها .. إلى موطنه الأول الذى لا يتحول .. ألا وهو الجنة .. موطن أبيه الأول .. آدم عليه السلام .

هذا الموطن الذى أخرج منه آدم .. ليعود إليه ثانية بالتوبة والعمل الصالح وبالانتصار على الشيطان الذى استطاع أن يهزمه فى أول جولة ، وأن يخرجه من الجنة .. ولكن العبرة بالنهاية .. والأسوة بالختام .

فينبغى علينا .. نحن أبناء آدم .. أن نشحذ الهمم ، ونقوى العزيمة .. حتى ننتصر على جحافل الشيطان الواهية ، ونحول هزيمتنا منه إلى نصر عليه ونستعيد ما سلب منا ، ونرفع رأس أبينا آدم عالية فى جنة عرضها السماوات

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) يونس (٥٨) .
(٣) الأعراف (١٥٦) .
(٤) متفق عليه .

والأرض .. حتى يعلم أنه أنجب رجالاً مخلصين لله رب العالمين .. وحتى يعلم الشيطان ويعى قول الحق سبحانه وتعالى : ((**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**)) [1] ولهذا ينبغى علينا أن نعلم ونعمل ، ولا نعمل إلا بعلم .. حتى يكون عملنا تاماً يحبه الله .. خالصاً من الزيف والرياء .. نزيهاً عن الغرور والكبرياء .

فلا يغتر أحد بعمله ، لأن الغرور آفة كل خير ، ونهاية النهاية ، ولا أقول بدايتها ، فمن الغرور أن تعجب بعملك ، وتفتخر به ، والله أعلم به .. ولا تدرى **فلعله فتح أمامك باب العمل ، وأغلق دونك باب القبول** .. ولتعلم يقيناً .. أنه : **رب معصية أورثتك انكساراً .. خير من عبادة أورثتك استكباراً ..**

وخير إيضاح لهذا الكلام ، تلك القصة التى تروى عن عابد .. ظل يعبد الله خمسمائة عام.. دون معصية أو خطيئة .. وكان هذا العابد يقضى أيامه و لياليه ساجداً راكعاً ذاكراً .. يعيش على القليل من الماء ، ومما تنبت الأرض .. وقد دعا هذا العابد ربه بثلاث دعوات :

(١) أن يموت ساجداً .
(٢) ألا يأكله الدود .
(٣) أن يبعث فى أمة وحده .
فأعطاه الله هذه الثلاث .. وقبل دعاءه ..

وعندما حضرته الوفاة .. وانتقل الى رحاب ربه .. أمر الله .. ملائكة الرحمة أن تأخذ بيديه إلى الجنة .. برحمة الله سبحانه .

لكن الرجل رفض قائلاً : بل أدخل الجنة بعملى .

- فقالت له الملائكة .. بل برحمة الله ..
- قال : بل بعملى .. وأصر على ألا يدخلها إلا بعمله ..
- فقال الله للملائكة .. أبى الفضل ، فعاملوه بالعدل .. وأحضرت الملائكة صحفه الخمس ..

---

(١) الحجر (٤٢) .

(١) صحيفة الأوامر .
(٢) صحيفة النواهى .
(٣) صحيفة الحقوق .
(٤) صحيفة الواجبات .
(٥) صحيفة النعم.

أما صحيفة الأوامر ... فقد أداها كما أمر الله على خير ما يكون الأداء ، فنجا خمسه الأول من النار .

وأما صحيفة النواهى ... فقد انتهى عما نهى الله عنه فنجا خمسه الثانى من النار .

وأما صحيفة الحقوق ... فقد أدى ما عليه من حقوق كما أمر الله فنجا خمسه الثالث من النار .

وأما صحيفة الواجبات ... فقد أداها كما يجب .. وكما أمر الله فنجا خمسه الرابع من النار .

وأما صحيفة النعم ... فوزنوا عبادة خمسمائة عام .. فى مقابل نعمة البصر .. فأطاحت نعمة البصر بعبادة خمسمائة عام . وأمر الله به إلى النار .

ولكن الرجل عاد إلى ربه .. سائلاً إياه أن يدخله الجنة برحمته .. وطلب الرحمة بعد أن رفضها .

فقال الله للملائكة : خذوا بيده إلى الجنة .

قال تعالى ((**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**))[١]

وقال عليه الصلاة والسلام : جعل الله الرحمة مائة جزء .. جعل جزءاً منها فى الأرض .. بين خلقه يتراحمون به فيما بينهم ، وخص الله نفسه بتسعة وتسعين جزءاً يرحم بها عباده .

---

(١) يونس (٥٨) .

حديقة العطر
و
((عائلة العطارين))

ويروى فيما يروى أن امرأة ذهبت إلى النبى (ﷺ) تشكو إليـه .. أن ابنتهـا الوحيدة وقرة عينها .. والمتزوجة منذ سنين .. كلما جاءها المخاض .. تعسـرت ومات جنينها .. وها هى الآن .. يا رسول الله فى شهرها التاسـع ، وأخشـى أن يحدث لها ما يحدث .. فى كل عام .. كما أخشى أن يطلقها زوجها .. فقـال لهـا الرسول الكريم (ﷺ) : إذا نزل على الوحى ، فأتنى وخذى مـن عـرق وجهـى واسقيها منه .. لأنه (ﷺ) كان إذا نزل عليه الوحى تسمع عند رأسه دوياً .. كدوى النحل ، ويتصبب عرقاً فى الليلة الشتوية من ثقل الوحى (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلا**) ففعلت المرأة .. وعندما نزل الوحى على النبى (ﷺ) أسـرعت المـرأة وجاءتـه وأخذت من عرقه الشريف .. وسقت ابنتها منه .. فلما اقتـرب موعـد ميلادهـا شعرت الابنة بالسكينة .. ثم بعد ذلك وجدت عطراً يملأ عليها البيت .. يفوق عطر أهل الأرض .. وخرج منها نور عظيم .. تبعته نافورة مسك وعنبـر .. فاحـت وتأرجت حتى بلغت الآفاق .. وتجمع عليه من كل مكان .. مـن أراد أن يتعـرف كنهه وينال من بركته .. ووضعت وليدها فى يسر ودعة .. لم تشعر بألم المخاض ولم تحس بوخز الأحشاء .. ونزل فطيماً وسيماً .. معطراً بعطر لم يعهده النـاس إنه عطر السماء .. عطر الوحى .. عطر المصطفى (ﷺ) .

وسمى هذا الطفل باسم ((العطار)) لكثرة عطره ، ونفاذ سحره .. وهذه العائلة معلومة بالأراضى الحجازية باسم : ((العطارين)) وهى عائلة كبيرة توارثت هـذا العطر جيلاً بعد جيل ..

ولا غرو فى هذا .. فقد كان رسول الله (ﷺ) عطراً ومسكاً وأريجاً فـى كـل مكان يحل به .. حتى إنه (ﷺ) كان إذا سار فى طريق .. خرجت النسـاء مـن

بيوتهن على رائحته التى تسبقه أينما حل وارتحل .. فيسألن عن مبعث هذا الــريح الطيب .. فيقلن : لعل محمداً قد سار .. فإذا كان هذا ريحه .. فما بالنا بعرقه الذى هو من جسمه الشريف .. الذى تشرف بلقاء الله عند سدرة المنتهى .. عندها جنــة المأوى .. فتقدس بقدس الله .. وتأرج من جناته الفينانة المزدانة .. وتبرك بكلام الله والنظر إلى وجهه الكريم .. حيث قال (ﷺ) : **انعكس بصرى ببصيرتى ورأيت من ليس كمثله شىء .**

وهذا العرق الطاهر .. ليس عرق أحمال وأوزان .. وإنما هو عرق الفرقــان عرق القرآن .. عرق التقاء الأرض بالسماء .. عرق التقاء النور بالتراب .. وهذا يحتاج من النبى (ﷺ) إلى جهد ومشقة حتى يستطيع تحمل هذا العناء ولهذا أمــره الله فى كتابه الحكيم أن يستعين على ثقل الوحى .. بقيــام الليــل .. حتــى تبلــغ الروحانية عنده ذروتها .. فتستقبل الملائكية .. وهو أرفع منهــا .. ولكنــه بشــر يحتاج إلى تفاعل كيماوى عند التقاء الواجد بالموجود .



((خـــاتمـــــة))

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]

صدق الله العظيم

---

(١) الأنعام (١٢٧) .



«ثمرة الولاية»

إن التوفيق أولى ثمرات الولاية .. وباب العناية .. وسراج الهداية ..

إن هؤلاء الأولياء الذين وفقهم الله لطاعته بعنايته .. وهدايته .. فأصبحوا هداة مهديين تصديقاً لقول الحق سبحانه وتعالى :

(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [1]

هؤلاء هم الصفوة المختارة من عباده .. الذين أخلصوا لله .. فوفقوا بهداه وأصبح يومهم يومين وليلهم ليلين ، وعامهم عامين ، ومالهم مالين .. وقد يزيد لأن البركة قد حلت في جوارحهم .. وجوانحهم .. وما يولون عليه .

فترى مثلاً : أن ما يصنعه الناس في أيام .. يصنعونه في يوم واحد ، فقد يسر الله عليهم أمورهم .. وما لا يجوز تحصيله في يوم ، يحصلونه في ساعة بتوفيق الله .. فيهدى الله لهم العصاة .. ويبارك لهم في القليل .. فيصبح كثيراً ويفتح لهم الأبواب .. التى أغلقت على غيرهم .

ويستطيعون بقليل من المال أن يصنعوا مالا يصنعه كثير من المال ويستطيع الرجل منهم .. أن يصنع مالا يصنعه الرجال .. وكأن الله قد اختصر لهم الوقت .. والجهد .. وبارك لهم في المال .. ولرب درهم سبق ديناراً .

فقد شغلوا أنفسهم بالله ، فكفاهم الله ما عداه .

وقد انشغلوا بالله فبارك الله لهم .

فتراهم مثلاً في أوقات صلاتهم .. وقد تمحضوا لله .. فلا عمل ولا أمل لهم سواه .. فإذا قضيت الصلاة ، انتشروا في الأرض يبتغون من فضل الله .

«النجار المبارك»

حتى الذين لا يسمعون منهم ولا يبصرون .. إذا حان وقت الصلاة رأيتهم يسعون إليها .. وقد استدلوا بأشياء لا يعلمها إلا الله ، فمنهم من يستدل بالشمس

---

(١) محمد (١٧) .

عليها ، ومنهم من يهتز جسمه عندما يحين وقتها .. وتصيبه قشعريرة في بدنه ومنهم من يخفق قلبه لها فيعلم بحلول الوقت .

وكان هناك نجار مبارك يدعى " الأصم " كان لا يسمع ما يدور من حوله وهو يشق الأخشاب .. بالمنشار .. ويدق المسمار .. ولكنه كان إذا حضر وقت الصلاة أمسك القدوم في الخشب .. فلا يتحرك .. فيعلم بهذا أن الوقت قد حان .

وكان بالليل وهو نائم .. يسمع زلزلة .. تهز البيوت ؟! وظل على حاله هذه لا تفوته صلاة الجماعة .. وهو الأصم الذى لا يسمع بأذنيه ولكن قلبه حيٌّ يسمع فويل للذين يسمعون بآذانهم وقلوبهم صماء .

((الولى الحق))

إن الولى الحق يخشى من الظهور ، ولا يكشف عن ولايته ، وإن ظهرت له كرامة أنكرها .

أما هذا الذى يدَّعى أنه ولى لله .. منقطعاً بذلك عن الناس .. فإلى هذا نقول :

إذا أردت أن تنقطع عن الناس .. فلا تأكل مما ينتجون .. ولا تشرب مما يشربون .. ولا تلبس مما يصنعون .. ولا تركب مما يركبون .

فلن يستطيع .. ؛ لأن الملابس التى يرتديها .. صنع غيره .. فمن زرع القطن ومن نسجه ، ومن حاكه ؟

والطعام الذى يأكله صنع غيره .. فمن غرس البذور في الأرض .. ومن سقاها ومن حصدها .. ومن خبزها ؟ إلخ .

والماء الذى يشربه .. من رشحه له ونقاه من الشوائب والميكروبات التى تضر بالإنسان ؟

إنه لن يستطيع .. فدعوته هذه مردودة عليه ..

لأن الولى لا يعرفه الناس .. لأنه فيهم كأحدهم .. لا يعلو عليهم .. ولا يهبط دونهم .. وفي هذا يقول الرسول الكريم (ﷺ) ..:

إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا .. قلوبهم مصابيح الدجى تراهم في كل غبراء مظلمة ..

– فعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال :

" قلت لجدتى أسماء بنت أبى بكر : كيف كان أصحاب رسول الله (ﷺ) يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن ؟

– قالت : كانوا كما نعتهم القرآن الكريم .. :

تدمع عيونهم ، وتقشعر جلودهم. قال : فقلت لها :

إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن .. خر أحدهم مغشياً عليه ؟ (١)

– فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

– وعن أسماء (رضى الله عنها) قالت :

ما كان أحد من السلف يغشى عليه ولا يصعق عند قراءة القرآن ، وإنما يبكون ويقشعرون ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ..

– وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت :

القرآن أكرم من أن يزيل عقول الرجال ...

– فإلى هؤلاء أقول :

كيف يزيل القرآن العقول وما نزل إلا لكمال العقول ..

فقد أكرم الله الأمة بالقرآن .. فيه حرمت الخمر التى تذهب بالعقول . وهدى الله به الناس وأخرجهم من الظلمات إلى النور . وما أكثر ما قال لهم :

(لعلكم تعقلون)

وأين هؤلاء من حديث النبى (ﷺ) :

" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده " (٢) .

---

(١) وهم ما يطلق عليهم " مجاذيب " .

(٢) رواه مسلم وأبو داود .

نعم ...

وهؤلاء هم الأولياء .. كلامهم قليل ، وفعلهم كثير ، وصمتهم ذكر ، ونطقهم شكر ، إذا حضر أحدهم لا تعرفه ، وإذا غاب لم تفقده ، ترى الواحد منهم كأنه جماعة ، وترى الجماعة منهم كأنها واحد ، هؤلاء هم الأولياء ، وهذا هو الولى .

أما إذا وجدت ورأيت بعينيك من يدعى الولاية ، ويقص عليك كراماته ، فاعلم أنه ليس من الأولياء وليس من الصالحين .. لأن الولى يخشى على ظهور كرامته. ويستتر من العيون أن تراه .. لأنه يعلم أنها من عند الله .. وإن شكرها سترها. وأنه عبد لا حول له ولا قوة .. وأنه عبد ضعيف للرب اللطيف ..

إن الولى يخشى من ظهور كرامته .. كما تخشى المرأة من ظهور شىء منها .. نعم !

فمن ادعى هذا فهو ليس بولى ، وإن مشى على الماء ، وطار في الهواء .. فقد قيل يوماً للإمام أبى حنيفة ..

إن فلاناً يطير.

- فقال أبو حنيفة (رضوان الله عليه) :

الغراب يطير ..

- فقيل له :

إنه يمشى على الماء ..

- فقال :

الضفدعة تسبح على الماء ..

أما الذين يرتدون الثياب المرقعة ، ويمشون حفاة ، ويترنحون ببلاهة ويتكلمون بسذاجة .. تحت دعوى أنهم مجذوبون .. وقد يمشون بين الناس عاطلين .. لا عمل لهم .. يجلسون في الشوارع والطرقات .. ويتخبطون هنا وهناك .

فأولئك جاهلون ..

ينبغي علينا اجتنابهم لأنهم يسيئون إلى صو [illegible] الإسلام .. التي جعلها النبي (ﷺ) أجمل ما تكون .. فقد رأى النبي (ﷺ) رجلاً أشعث الشعر .. فقال نبي الجمال (ﷺ) :

" **أما وجد هذا ما يمشط به شعره ؟!** "

وقد جاء في الأثر :

" **إن الله جميل يحب الجمال ..** "

وقد كان النبي (ﷺ) نبي الجمال والكمال والجلال .. إذا وجد اسماً قبيحاً غيره فمثلاً إذا شاهد رجلاً .. وكان اسمه صعباً .. سماه : سهلاً .. أو حزناً سماه : فرحاً .. حتى ينشر الجمال في الأرض ، حتى في الأسماء .. لأن الأسماء تدل على أصحابها ، وتؤثر في تكويناتهم .. لأن الاسم مدخل صاحبه .. وعنوانه الأول .

وكان النبي (ﷺ) في حد ذاته .. عطراً يمشي على [illegible] يضيء في الظلمات .. وجمالاً .. حتى تحسبه ملكاً كريماً .. بل [illegible] سمي .. وهو أول العابدين .

فما بالنا بهؤلاء الذين يدعون الولاية ، وهم أبعد ما يكونون منها .. وأنأى ما يكونون عنها .

إن الولاية .. عمل وهداية .. وتوفيق وعناية .

بمعنى .. من لا عمل له .. تكاسلاً وتخاذلاً .. لا ولاية له .. فلقد كانوا يعملون نهارهم ويسعون ليلهم ..

يمشون في [illegible] ما نهاراً .. ويسعون إلى ربهم ليلاً بالعبادة .. والعمل الصالح أما إذا [illegible] والإسلام وليس له عمل .. فاعلم أنه دخيل وأن الذين ي[illegible]

فقد قال الصحابة ذات يوم لرسول الله (ﷺ) متعجبين .. : يا رسول الله ، إن هذا الرجل معتكف بالمسجد ليلاً ونهاراً .. صلاة بالليل .. صوماً بالنهار .. وظن الصحابة أن النبى (ﷺ) إنما سيقول لهم :

إنه في الفردوس الأعلى .. كلا ..

- وإنما قال لهم :

من يطعمه .. ؟

- قال الصحابة : كلنا يا رسول الله .

- قال الرسول الكريم (ﷺ) :

" **كلكم خير منه ..** "

فإن الإسلام دين عمل .. والعالم العامل .. خير عند الله من بعض ملائكته .

وإلا فكيف تعيش الأمة وتنهض .. إذا كان الناس يتخذون المساجد معتكفاً ، ويتركون مصانعهم ومعاملهم ومزارعهم ووظائفهم شاغرة .

إن الحياة تتوقف .. والأخضر ييبس .. والنهار يظلم .. والحركة تموت ويأكل الناس بعضهم بعضاً .

ويقول تعالى في كتابه الحكيم : (**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**)[1].

وقد قال الرسول (ﷺ) للسائل بعد أن اشترى له قدوماً :.. " **اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً ..** "

ولو كان الاعتكاف بالمساجد ليل نهار أفضل .. لقال له الرسول (ﷺ) اجلس معنا هنا ونحن نطعمك ونسقيك .. ولكنه الإسلام الذى يحث على العمل ويكرم العاملين.

---

(١) التوبة (١٠٥) .

إن العاملين المتقين الذين يؤدون ما عليهم .. ويحللون أجورهم .. وعندما يحين وقت الصلاة يؤدون فروضهم .. ويؤدون زكاتهم .. ولا يحضرون مجالس اللهو ولا ينظرون إلى ما حرم الله .. ولا يكذبون في أحاديثهم .. ويصومون شهرهم أولئك من الأولياء .

فما هي الولاية ؟

إنها إيمان وتقوى .. لا تتعدى هذا ..

فالتاجر والموظف والمهندس والطبيب والعامل والفلاح والمهني والتلميذ .. كل هؤلاء جميعاً يستطيعون أن يكونوا أولياء صالحين .. بماذا ؟

بإخلاصهم في أعمالهم حتى لا يداخل أجورهم حرام ، وبصدقهم ، واجتهادهم وبخوفهم من الله .. وبحسن معاملاتهم للناس أياً كانوا .. ممن يقع منهم تحت رعايته أو من يذهب إليهم لقضاء حاجته .

فكن بشاً مبتسماً في وجه الناس فإن الابتسامة صدقة .. وهي مفتاح الخير وباب الرزق .

ولا تكن عابساً .. فينفر الناس منك .. ويكره الكل لقاءك ..

واحرص على الصلوات في أوقاتها ..

وادع إلى الله كل يوم ولو بكلمة واحدة ..

وبدلاً من أن تتحدث فيما يغضب الله .. تحدث في شيء يرضيه سبحانه وتعالى.

واعلم أنك لو تكلمت كلمة ترضى الله صباحاً .. لم تزل في كنف الله حتى تمسى وإن تكلمت كلمة ترضى الله مساء .. لم تزل في كنف الله حتى تصبح .

واعلم أن كل كلمة تتكلمها .. يسمعها الله .. فاحرص أن يكون كلامك طيباً .

واعلم أن كل كلمة .. مكتوبة .. لك أو عليك .. فتكلم بما تحب أن تسمع واحذر أن تقول ما ليس لك به علم .

واحذر أن تفكر في شيء يغضب الله فالعقل من نعم الله عليك .. وشكر العقل التدبر .

واحذر أن تمشي فيما لا يرضى الله .. فالقدمان من نعم الله عليك وشكر القدمين .. السعي بهما إلى ما يرضاه سبحانه جل علاه .

واحذر أن تمد يدك في منكر .. فإنها نعمة الله عليك .. فوجهها إلى الخير حيث كان .

واحذر أن تسمع منكراً .. بأذنيك .. فالأذن من نعم الله عليك .. وشكرها سماع الخير. فإن كنت في مجلس .. وذكر فيه المنكر فغيره بلسانك .. فإن لم تستطع تغييره .. فدع هذا المجلس .. لحديث النبي (ﷺ) :

" إذا لم تزل المنكر فزل عنه "

كما أدعوك إلى غض البصر .. فالبصر من نعم الله عليك .. وشكره النظر إلى ما أحل الله .. والكف عما حرم .

واعلم أن كل هذه النعم وغيرها .. التى أنعم الله بها علينا .. قد حُرِم منها آخرون .. فحافظ عليها .. واحرص عليها .

واعلم أن شكرها باستخدامها بالخير وفي الخير وإلى الخير .

(ولئن شكرتم لأزيدنكم ..)

واحذر أن تزول

وإن كنت ذا نعمة فارعها

فإن المعاصي تزيل النعم

عليها بشكر الإله

فإن الاله سريع النقم

ـهم الدنيا فضعو ـها فرالـ عنهم

وـ ... ـ ء غرتهم قوتهم فهلكو

وكم من أغنياء غرهم مالهم .. فافتقروا ..
وكم من علماء اغتروا بعلمهم .. فضلوا ..
واعلم أنه :

من اعتز بماله قلّ ..

ومن اعتز بعلمه ضلّ ..

ومن اعتز بغير الله ذلّ ..

فلا تعتز إلا بالله ..

ولا تتحدث إلا بنعمه عليك .. وربوبيته لك .. وعبوديتك له ..
(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [1]

واعلم أن خير ما يصعد إلى السماء الإخلاص .
واعلم أن خير ما ينزل من السماء التوفيق .

واعلم أن مكافأة الله لعباده هي السكينة .. والطمأنينة .

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [2]

فإذا فعلت هذا ونلت ذلك .. كنت بحق وصدق من الذين قال الله فيهم :

((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) . [3]



---

(١) المنافقون (٨) .
(٢) الرعد (٢٨) .
(٣) يونس (٦٢ – ٦٤) .

المراجـــع

١- القرآن الكريم .
٢- المعجم المفهرس .
٣- تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) .
٤- تفسير في ظلال القــرآن (للشـــهيد ســيد قطب) .
٥- تفسير القرطبي .
٦- تفسير الجلالين .
٧- تفسير أبي السعود .
٨- تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا) .
٩- صفوة التفاســير (للشــيخ محمــد علــى الصابوني) .
١٠- تفسير الطبري .
١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري .
١٢- صحيح مسلم .
١٣- مسند الإمام أحمد .
١٤- سنن أبي داود .
١٥- زاد المعاد (لابن القيم) .
١٦- الترغيب والترهيب (للمنذري) .
١٧- الدين الخالص (محمود خطاب السبكي).
١٨- فقه السيرة (للبوطي) .
١٩- فقه السنة (السيد سابق) .
٢٠- الفقه على المذاهب الأربعة .
٢١- إحياء علوم الدين (للغزالي) .
٢٢- مقدمة ابن خلدون .
٢٣- أحكام القرآن (لابن العربي) .
٢٤- لسان العرب (لابن منظور) .
٢٥- مختار الصحاح (للرازي) .
٢٦- المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) .
٢٧- مفردات القرآن (للأصفهاني) .
٢٨- البداية والنهاية (لابن كثير) .
٢٩- الأحاديث القدسية (المجلــس الأعلــى للشئون الإسلامية) .
٣٠- رياض الصالحين (للنووي) .
٣١- الموطأ (للإمام مالك) .
٣٢- الدر المنثور (للسيوطي) .
٣٣- الدراري المضيئة (للشوكاني) .
٣٤- فضائل القرآن (لابن كثير) .
٣٥- روح المعاني (للألوسي) .
٣٦- الروح (لابن القيم) .
٣٧- الأذكار (للنووي) .
٣٨- الجواب الكافي (لابن القيم الجوزية) .
٣٩- صيد الخاطر (لابن الجوزي) .
٤٠- غاية الحكيم (لمسلمة بن أحمد) .
٤١- مكاشفة القلوب (للغزالي) .
٤٢- مفتاح السعادة (لابن القيم) .
٤٣- الطب النبوي (لابن القيم) .
٤٤- خزانة الأدب (للبغدادي) .
٤٥- من وصايا القرآن (دار التراث العربي).
٤٦- تفسير الأحلام (لابن سيرين) .
٤٧- تفسير الأحلام (للنابلسي) .
٤٨- في رحمة الله (للمؤلف) .
٤٩- حديقة الأولياء (للمؤلف) .
٥٠- لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف) .
٥١- لؤلؤ ومرجان (للمؤلف) .
٥٢- من خشية الله (للمؤلف) .
٥٣- السعي إلى الآخرة (للمؤلف) .
٥٤- أسماء الله الحسنى (للمؤلف) .
٥٥- رمضان كريم (للمؤلف) .

الفهرس



من مؤلفات

الشاعر الإسلامى الدكتور تاج الدين نوفل

١- السعى إلى الآخرة .
٢- في رحمة الله .
٣- من خشية الله .
٤- السحر والسحرة .
٥- أسماء الله الحسنى .
٦- الفوز العظيم .
٧- رمضان كريم .
٨- نفحات .
٩- حديقة الأولياء .
١٠- الكلمة الطيبة .
١١- أزهار حول الرسول (ﷺ) .
١٢- لآلئ ودرر من عدالة عمر . (شعر)
١٣- لؤلؤ ومرجان . (شعر)
١٤- الملكة سوسينا . (شعر)
١٥- شعراء الإسلام .
١٦- تسابيح وتراويح . (شعر)

• تحت الطبع :

(١) أحلى ما كتبت . (شعر)
(٢) قصائد منشورة . (شعر)
(٣) الحبيب الأول . (شعر)
(٤) قالوا عن الإسلام .
(٥) قالوا عن الرسول (ﷺ) .
(٦) أفلا يبصرون .
(٧) السعادة الزوجية .
(٨) من دعاء الرسول (ﷺ) .